Tome ; annéeNo 907 | LeCaire 20 —11—1950

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٥٢ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٠٧ «القاهرة فى يوم الاثنين ٩ صفر سنة ١٣٧٠ — ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

على محمود طه فى يوم ذكراه



« تناولت أمس بالبريد مجموعة « زهر وخمر » للشاعر الساحر على محمود طه فصار عندى من مجموعاته الخمس اثنتان : الملاح التائه وزهر وخمر . أما ليالى الملاح التائه ، وأرواح شاردة ، وأرواح وأشباح ، فستصلنى بالبريد حاملة بشرى ظفر أخى الشاعر فى هذه الكلمة ، فأنا أحبه وأحب شعره . ولن أكلف نفسى مشقة إفهام خصومه لماذا أحب شعره ولماذا أحبه .. فإذا كان شعره لا يستطيع أن يضع فى عيون أولئك الخصوم نوراً ، وفى أنوفهم عطوراً ، وفى قلوبهم شعوراً ، فلن يستطيع لسانى !!

فيا خصوم على محمود طه : ستموتون ويبقى هو حياً ، فغراب الموت الأسحم ينعب فى مقابركم ، وعروس الحياة الجميلة تحوم فى قصائده .

ألا تعرفون حكاية الضفدع والحباحب ؟ إذن فاسمعوها : رأى ضفدع يوماً حباحباً يلمع على حافة غدير ، فخرج إليه قفزاً ساخطاً وراح يبصق عليه . فقال الحباحب : ماذا صنعت بك ؟ من أين جاءك هذا الغضب ؟ فأجابه الضفدع : وأنت من أين جاءك هذا اللمعان ؟!

على أن ما يعزينى ويطربنى ويملأ نفسى رجاء أن الإقبال على شعر على محمود طه كبير ، وفى هذا دليل كاف على أن الشعور بالجمال مطرد النمو فى مصر كما هو فى لبنان !

فيا أخى الشاعر على محمود طه : أنا أقطن أجمل بقعة فى الأرض ؛ ورائى صنين شيخ الجبال ، وأمامى وحولى أروع وأعذب

ما مهرت به الطبيعة بلداً من بلاد الله : شاطئ كشعرك ذهب وفضة .. فتنة حين أتركه في الصباح إلى المدينة ، وذهب حين أعود إليه في المساء . وخليج كله فتنة كشعرك في « الجندول » وفي « كليوبترا » فاتنة الدنيا وحسناء الزمان . وروابٍ كشعرك شماء وادعة . وسماء ... كأنها شعرك : جمال وحب وأحلام . وجو كله كشعرك غناء . وماذا أقول بعد ؟

في هذه البقعة الطيبة ، في هذا الإطار الساحر ، قرأت شعرك أول ما غنيت به وأحببته .. ويحزني أنك ستجيء يوماً إلينا ، فأصعد بك إلى الشيخ صابر ، ونتحدر معاً إلى الروابي فالخليج فشاطئ الذهب والفضة . ويحزني أيضاً أن هذا الجيل سيظفر منك بأغنية أشجى من أغنية لا مرتين في شاطئ سرته ! »

إلياس أبو شبكة

هذه الكلمة المشرقة إشراق الفجر ، الحالمة تحليق الشعر ، الحائرة حيرة النغم ، وجهها شاعر لبنان المبدع إلياس أبو شبكة إلى شاعرنا العبقري علي محمود طه بعد أن فرغ من قراءة ديوانه « زهر وخمر » .. وكان ذلك منذ سبعة أعوام !

ومن مبناى على هذه الكلمة ، فأثارت في نفسي من الخواطر الحزينة ما أثارته ذكرى الشاعر الصديق . ألأنها تصل اليوم بالأمس ، أم لأنها تصور الواقع فتصدق ، أم لأنها نفحة من نفحات الوفاء ؟ قد يكون هذا كله مبعثاً لتلك الخواطر الحزينة ، ولكن الرجة الأولى التي هزت شواطئ النفس بالأسى القاهر والأسف المقيم ، هي أن أبا شبكة تودع الحياة قبل أن يلقى مكانه شاعر في لبنان ، وأن علي طه قد فارق الدنيا ولم يشغل مكانه شاعر في مصر !!

مات شوقي فقال الناس من بعده : لقد مات الشعر .. قالوها وهم لا يرجون خيراً من الشيوخ ولا يعقدون أملاً على الشباب ، لأن رقعة الجناح المشرع عند شوقي وامتداد أفقه الرحيب لم يكن لهما في ذلك الوقت شبيه ولا نظير . أما الشيوخ فقد ظل شوقي طاغياً عليهم بشعره ، مخمداً لأصواتهم بذكره ، ساخراً من أصدائهم برجع صداه ! وحين برز من بين صفوف الشباب شاعر جهير الصوت رصين الأداء شجي النغم ، اطمأنت إليه العيون وخفقت القلوب واشرأبت الأعناق .. كان علي طه في ذلك الحين لا يزال يشق الطريق ، يدفعه في قوة المؤمن وعزيمة المجاهد وأمل الواثق من بلوغ ما يريد . وكان الطريق تحت قدميه مفروشاً بالصخور والأشواك : صخرة من حاقد ، وشوكة من حاسد ، وعثرة تنطلق من وراء لسان ، وأخرى تنبعث من مداد قلم . ولكن صيحات العطف والإعجاب كانت تعلو على صيحات الحقد والإنكار .. ومضى الزاحف الظافر وجهه إلى الأمام ، لا يلقي إلى الخلف نظرة ، لأنه كان يؤثر ألا يمد عينيه إلى المتخلفين !

وكان الذين يتسابقون معه ويحقدون عليه ، قلة من الشباب وحفنة من الشيوخ .. أما أولئك فقد راعهم ألا يسطع من بينهم غير نجم واحد ، وألا يخرج من صفوفهم غير شاعر فرد ، وألا يلحق به منهم لاحق في مضمار . وأما هؤلاء ، فقد هالهم أن علا المكان الشاعر صوت يعلو على صوتهم لأنه صوت جديد ، ويطاح بشدو من أفقهم لأنه منقطع الأواصر بالأمس البعيد .. وكأن الشيوخ في رأيهم لا يحسب بعدد المواهب والملكات ، وإنما يحسب بعدد السنين والأيام !!

وها هي أمواج الأثير تنقل الصدى في ذلك الحين من مصر إلى لبنان ، فتهز مواطن الشعر في نفس إلياس أبي شبكة ، وتشحذ بين يديه شباة القلم ، وتنطلق من بين شفتيه هذه الكلمات : « ولن أكلف نفسي مشقة إفهام خصومه لماذا أحب شعره ولماذا أحبه .. فإذا كان شعره لا يستطيع أن يضع في عيون أولئك الخصوم نورا ، وفي أنوفهم عطورا ، وفي قلوبهم شعورا ، فلن يستطيعهم لساني » !!

كان ذلك بالأمس . أما اليوم ، وقد انقضى على وفاة علي طه عام في حساب الزمن ، فلا أظن أن الموت قد مسح بيد النسيان ما علق ببعض النفوس من أحقاد . ذلك لأن الموت حين أخذ علي طه لم يستطع أن يأخذ شعره .. وبقي هذا الشعر راسخاً في الضمائر ، ماثلاً في الخواطر ، نابضاً في القلوب ! وأهتف في يوم ذكراه كما هتف إلياس أبو شبكة منذ أعوام : « فيا خصوم علي محمود طه : ستموتون ويبقى هو حياً ، فتراب الموت الجشع ينتشر في سطوركم ، وعرس الحياة الجميلة تعج في قصائده » !!

وسلام عليك يا صديقي .. سلام عليك في الخالدين .

أنور المعداوي

الألعاب العربيـــة

للأستاذ محمد محمود زيتون

رأينا في المقال السابق كيف التقت التربية البدنية بالتربية الدينية عند مبدأ الإخاء حيث تسود الألفة بين المتلاعبين. ويحرص النبي عليه الصلاة والسلام على أن يكون الناس في جدهم ولهوهم إخوانا وزملاء، فهو القائل « تآخوا في الله أخوين أخوين »، والقائل « لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم ما سار راكب بليل وحده » ولهذا كان المسلمون في شتى مناحل الفترة المحمدية أخوين أخوين.

وخرج عمر بن الخطاب يوما في سفر فقال لمن كان معه « ألا تزاملون » وزامل بين كل اثنين.

وحول هذا المحور من الإخاء دارت الألعاب الإسلامية فكان دورها حلقة ذات مكانة مرموقة في تعاليم الإسلام؛ ذلك الدين الذي ألان من عنفوان عمر حتى قال « ينبغي للرجل أن يكون في أهله كالصبي فإذا التمس ما عنده كان رجلا » وكذلك حقا كان عمر مع أولاده الصغار فقد كانوا يركبونه ويسحبونه ويسوقونه وهو أمير المؤمنين وفاتح الأمصار، وما كان أسعده بهذه اللحظات من اللهو البريء الذي هو اللعب المشروع من غير تناقض مع وقار الخليفة وجلال الخلافة، فلما دخل عليه أحد الولاة ورآه في هذا النحو الذي ذكرنا استنكره منه وعندما سأله عما يفعله هو في بيته قال بما يفيد جفوته مع أهله فعزله أمير المؤمنين.

ومن هذا الباب أيضا ما قاله علي بن أبي طالب « سلوا هذه النفوس ساعة بعد ساعة فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد » وهل تكون هذه التسلية إلا باللهو واللعب اللذين هما جلاؤها وصقالها!

وفي هذا يقول أبو الدرداء الصحابي الجليل « إني لأستجم نفسي ببعض اللهو ليكون ذلك عونا لي على الحق ».

ولما كان من أغراض التربية الكاملة تهذيب النفس بترويض الأعضاء على الفنون والصناعات فإن القائمين على شؤون التعليم قد فرضوا دروس الأشغال في المدارس، وبهذا اللون من التربية اليدوية اتسمت حياة النبي الكريم.

سئلت عائشة: كيف كان النبي إذا خلا في بيته؟ فقالت: كان ألين الناس وأكرم الناس؛ وكان رجلا من رجالكم إلا أنه كان ضحاكا بساما.

وسئلت عما كان يصنع في بيته: فقالت: ما يصنع أحدكم: يرقع ثوبه ويخصف (يخرز) نعله ويعمل ما تعمل الرجال في بيوتهم فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة؛ وكان يعمل عمل البيت وكثر ما يعمل الخياطة.

وكان رسول الله (ص) يضمر الخيل ليسابق بها، وهو الذي حمل للسباق حدودا لا يتعداها المؤمن إذ قال « لا سبق إلا في خف أو حافر أو نصل » وما أروع الغاية التي ينشدها نبي الإسلام للمؤمنين إذ يقول لهم « الهوا والعبوا فإني أكره أن أرى في دينكم غلظة » وتلك من غير شك غاية التربية اليدوية، وما أسماها من غاية.

ويقول عائشة أيضا: كان رسول الله يخصف نعليه وكنت أغزل.

وسواء كانت هذه الصناعات اليدوية الصغرى مقصودة لذاتها أو لمجرد اللهو وسد أوقات الفراغ أو مقصودة للكسب المادي فإن كلا الأمرين شريف ومشروع وإن كنا لا نزال نعتقد أنها من ألزم لازومات أسافل الناس ولا سيما ذوي الهيئات. ونحن نعلم عن مستر تشرشل وقد كان ولا يزال من مديري دفة السياسة البريطانية بل العالمية أنه من المترمين بالرسم، وكثيرا ما يذهب إلى مرسمه لرسم المناظر الطبيعية بريشة الدقيق بحيث يستجم لنفسه في مهمته السياسية وما أشق أعباءها.

وعندنا عن من النماذج الإسلامية ما يراحم الرءوس الكبار بما كان لها من أثر فعال في تغيير وجه التاريخ تغييرا شاملا؛ فهذا حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء وقد عرف عنه أنه كان يذهب وحيدا بعيدا في صيد الوحوش الكواسر وطالما طالع أهل مكة بقوامه الفارع وشبابه المتوثب وهو يتقلد سيفه ويتنكب قوسه ويتقضى في يديه السهام ويختصر الحراب.

وكان عمر من المهتمين بالتربية عن طريق الأشغال اليدوية والألعاب الرياضية إذ يقول « من خط وخاط وغرس وعام فذاكم الغلام » وبهذا لم يهمل هذا النوع من الأشغال الذي يسمى بالإنجليزية Hobby (هواية). وكان رسول الله يشجع على توجيه الصغار نحو مشاهدة الطبيعة وتأمل الأحياء؛ فقد دخل على أم أنس بن مالك فوجد ابنها أبا عمير حزينا مغتما فقال لها: « يا أم

سالم ما بال أبى عمير حزيناً ؟ » قالت : يا رسول الله مات نغيره (عصفوره) فنادت النبي إليه وقال : « أبا عمير ما فعل النغير ؟ » وكان كلما رآه قالها له دعابا .

ولا شك أن نوع اللعبة تحدده الغريزة الجنسية . كما أنها تستجيب لغريزة حب الاستطلاع ، ثم هي مجال طبيعي يتعرف فيه الناشئ على خصائص الحيوان ، وفيه تتفتح آفاق الخيال ، وتتكشف الاتصالات والعواطف نحو الحياة والأحياء في أبسط صورة .

وغريزة اللعب هذه ملازمة للإنسان من المهد إلى اللحد لا تبرح سلوكه ولا ينفك عنها نشاطه . فلا تعارض بين اللعب والسن مهما يكن من هيبة ووقار .

فقد دخل النبي على عائشة وعمرها تسع سنين ، وكانت لعبتها في يدها ، ومعها صواحبها في أرجوحة بين نخلتين ، فأنزلتها أمها من الأرجوحة لتزفها إلى رسول الله .

ولم تنس عائشة لعبها بعد أن أصبحت زوجة فهي تقول «قدم رسول الله من غزوة تبوك أو حنين فهبت ريح فكشفت ناحية من ستر على صفة في البيت عن بنات لي فقال : ما هذا يا عائشة ؟ قلت : بناتي ، ورأى بينهن فرسا لها جناحان من رقاع . قال : وما هذا الذي أرى وسطهن ؟ قلت : فرس . قال : وما هذا الذي عليه ؟ قلت . جناحان . قال : جناحان !! قلت : أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة ؟ فضحك حتى بدت نواجذه »

والإسلام يقر اللهو البرئ، الذي لا يمسه الطيش ولا ينحرف عن الجد . وما أصدق روح الإسلام في بيت البارودي إذ يقول :

سواى بتحنان الأغاريد يطرب وغيرى باللذات يلهو ويلعب

إلى ما في هذه القصيدة من اعتزاز بالدأب على طلب العلاء والاعتداد بنفس أبية لها بين أطراف الأسنة مطلب ، ولها مع الوحوش مراح ، فلا عجب إذا أسفرت هذه المهنة كل مأرب .

واستقبلت جوريات بني النجار رسول الله بالمدينة بالأناشيد والدفوف ؛ كما أخذ الأحباش يلعبون بالحراب بين يديه ، وأخذت جاريتان تضربان بالدف في بيته فلم ينكر عليهما ذلك حتى إذا دخل أبو بكر منعهما فقال له النبي : دعهما يا أبا بكر فإن لكل قوم عيدا .

وذهبت عائشة يوما إلى عرس في بيت الأنصار فلما رجعت سألها النبي : « أهديتم الفتاة إلى بعلها ؟ » قالت : نعم قال : « فهلا بعثتم معها من يغنى ؟ » قالت : لا . قال : « أما علمت أن الأنصار قوم يعجبهم الغزل ؛ ألا بعثتم معها من يقول :

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم
ولولا الحبة السمرا ء لم نحلل بواديكم

والضرب بطائر كرة (الفلاس) على الرجل يلعب بين يدى الأمير إذا قدم المصر .

والدعابة والمضاحكة مما يدخل في باب اللهو واللعب بغية التسلية والترفيه ، كما كان يفعل النبي ، فقد قال لعجوز : « إنه لا يدخل الجنة عجوز » فحزنت ، ولكنه لم يلبث أن تلا عليها قول الله تعالى « عربا أترابا » فضحكت واستبشرت . لأنها سترتد في الجنة صغيرة السن عذراء حسناء ، وذلك ما تتمناه المرأة بالطبع المركب فيها .

ولكن المزاح من الدعابة في شيء ، لأنه من أسوأ الأثر في النفس ، ولهذا نهى النبي عنه . ويروى أن رجلا أخذ نعل رجل فغيبها وهو يمزح فذكر ذلك للنبي فقال : « لا تروعوا المسلم فإن روعة المسلم ظلم عظيم » وقال في حديث آخر « لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعبا ولا جادا » كما نهى عن المزاح بالسلاح فقال : « لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار » .

وكان الإسلام حريصا على صيانة السباحة من الابتذال ، فحرم على النساء أن يسبحن عاريات حتى لا تكون فتنة . ولما دخلت الحمامات بلاد العرب وضع رسول الله حدودها فقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بإزار ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام » وقال « شر البيوت الحمام ترفع فيه الأصوات وتكشف فيه العورات » ودخلت نسوة من الشام على عائشة فقالت لهن : أنتن اللاتي تدخلن نساءكن الحمامات . سمعت رسول الله يقول : « ما من امرأة تضع ثيابها في غير بيت زوجها إلا هتكت الستر بينها وبين ربها »

ويوم أن سار الغربيون على هدى الشعائر الإسلامية صانوا كرامتهم، ويشهد لهم جوستاف لوبون في كتابه «حضارة العرب» فقال «حمامات الشرق أفضل من حمامات الغرب صحة وراحة؛ وهي مع ذلك مجلس للاجتماع والمحادثة ولا تقل شأناً عما كان لها أيام الرومان».

والخلاصة أن الإسلام عندما أقر كثيراً من ألعاب العرب وشجع بعضها لم يهدف إلى اكتناز العضلات وصلابة العود، ولم يقصد إلى إطالة العمر، ولم يدفع إلى المغامرة على الضعيف بالتذرع بحجج أوهى من نسيج العنكبوت مثل «شعب الله المختار» وإنما وضع الرياضة البدنية موضع الاعتبار بأن جعلها «تربية» ذات غرض نافع وهدف رائع.

كان قصر (سيوطة) يعد الفتيان للحرب كفاية تقصد للأشياء وكان أبناء الرومان يغالون زمهرير الشتاء وذل النفس لينشأوا قساة القلوب غلاظ الأكباد، أما الإسبان فقد جرت دماء الوحشية في عروقهم إذ اتخذوا من «مصارعة الثيران» مسلاة وملهاة؛ كلما رأوا اللاعب ينجو من قدر خصمه (الثور) عاجله بطعنة من خنجره فيخر مضرجاً بدمائه.

والحق في جانب العرب في الحكم لهم بارتفاع الغريزة عما يشينها من حيوانية سافرة وشهوة عارمة، فهم قد عرفوا رياضة الإنسان وترويض الحيوان، فلما جاءهم الإسلام أحل الله لهم صيد البر والبحر وحثهم على الرفق في الأمر كله، ونهاهم عن المثلة ولو بالكلب العقور فكانوا طرازاً نادراً في الفروسية والرجولة.

طيروا الحمام الزاجل إلى بلد لم يكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس. وأطلقوا الصقور بين يدي قبائلهم تنقض على الصيد المباح، وامتلكوا نواصي الخيل، واعتلوا صهواتها. فأكرموها غاية الإكرام وركبوا سفينة الصحراء تشق بهم الوهاد والنجاد. وتربصوا للأسود الضارية والأفاعي الماوية، فصرعوها في كهوفها، فتطهرت السبل من أذى الإنس والجن.

وكانت ألعاب العرب في جملتها وتفصيلها مسايرة لمطالب الطبع البشري، فلم يقهروا الغريزة قهراً، — ولو أرادوا لفعلوا — ولم يهربوا من الطبع الغلاب، بل واجهوا الحياة بما هو في الإمكان للسير بها قدماً نحو الشرف والرفعة، حتى إذا لم يبق في الطاقة مكان، استسلم المرء للواقع المرير، وفي القلب الكسير حسرة على الماضي القوي، والشباب الفتي، فذلك قول شيخ العرب، وقد ذوى عوده، وانطوى ظله:

أصبحت لا أحمل السلاح ولا ... أملك رأس البعير إن نفرا
والذئب أخشاه إن مررت به ... وحدي وأخشى الرياح والمطرا
من بعدما قوة أعز بها ... أصبحت شيخاً أعالج الكبرا

ولو شاء العربي أن يرمز إلى الحياة الجامعة فإنما تكون نفسه أقرب ما يسعفه إلى غرضه، بل تكون «الناقة» أقرب إليه وإلى الحياة من نفسه؛ فهي عنوان الأرض والسماء، ومرصد الشاهد والغائب، ومدار القوة والضعف، ومقياس الشرف والضعة، ورمز السائمة والضياع. ولهذا كان أغلب التعبيرات العربية عن النفس مشتقة من الناقة التي هي سفينة الحياة. وطالما كنى بها العربي عن نفسه في كل مظاهر الشعور.

وكان العقل من قولهم: عقل البعير، والعقل والعقال ما يعتقل؟ والعاقلة هي العائلة أي القبيلة لأنها تعقل البعير في أداء الدية من المعتدي الآثم من أفرادها. وما أروع تورية النبي لصاحب الناقة إذ قال «اعقلها وتوكل».

والعربي يرضى لنفسه الهوان كما يفعل بناقته ثم يأخذ شكيمتها ويكبح جماحها. ويزجرها عن هواها، ويقيها من غربها وشموسها ويأخذ بناصيتها، ويمتلك سنامها، ويخيل نفسه إلى ولده متأثراً بحنين الناقة إذا طربت في أثر ولدها، وإذا أناخها فبركت، فإنما هي نفسه التي يأخذها فتبرك، وكذلك حين يسوقها ويتوددها ويحنها ويحدو لها فهي ذلول لا شرود، ما دام في يده خطامها يشد عليها زمامها، فيلبسها فرو الفضيلة وتمتص بها في ركاب الفضلاء، ورائده الخير لها، يتجشمه صادراً ووارداً.

تلك هي حياة العربي الذي يتخذ من الناقة سفينة إلى معالي المثل ومكارم الأمور، حتى إذا نفض يديه من حطام دنياه، لم يكن له فيها ناقة ولا جمل، ولا تخدعه فيها خضراء الدمن.

ولعمري إن الإنسان الذي يتوصل إلى ما بلغه العربي من مجد لأحق بالتمجيد والتخليد، وحسبه شرفاً أنه سلك كل وعر،

بعد عام

علي محمود طه (1)

قد مضى الزمان بنا يجد، حتى مررنا على بعد عام من «علي محمود طه»... ولكننا ما زلنا نرى الزورق سابحا، مبسوط الشراع، يجرى على كتف الموج، في أنهار الخلود؛ لا يطويه أفق، ولا يحجبه بعد.

— 1 —

كان «علي طه» فردا آتاه الله الرهافة في الحس، والحدة في الشعور، والرقة في الذوق؛ فانطلق جوابا في الآفاق يستعرض آيات الله في جمال الطبيعة ومفاتنها.

مهدى هذه الروح وأنسه | الذي ربيع الطبيعة الفينانة

ووقف أمام «كومو» واعتزلها فقال:

ها هنا يشعر الجماد ويوحي لي شعر.

ولولا وفاء طبعت به الفطرة، وحب لبني النيل الأبرة؛ لركن «الملاح» الرحال إلى أحضان هذا الشاطئ، يحرسه بعينيه، ويناغيه بوشوشاته.

آه لولا أحبـة	تركوا شاطئ النهر
ورفيقـات مطوسـر	وكريم من السير
لتمنيـت تربـة	لي في هذه الجزر
أقطع العمـر عندها	غير وان عن النظر
فلقد فاز من رأى	ولقد عاش من نظر

ولقد عاش حياته شاعرا مع الشعراء، لم يتواضع لجني من عبقر يستجديه القصيد، وإنما راح يستهبط الوحي من ملائكة السماء، ليندفع بعد ذلك شاديا، ينظم الحس أغاني، ويرسل بالجمال أهازيج، وإنه بذلك الخلاب باهر، ينغم الأعماق بالإعجاب، ويشمل المواهب بالطرب.

وعاء الشاعر الفذ منها	يستقي الشعر وحيه وبيانه
وأنا الشاعر الذي افتن بالحسـ	ـن وأذكى يد الحياة افتتانه

فبوركت يا علي إنك فنان

مضارب في الخيال ملق عنانه	ملأت الوحي قلبه ولسانه

— 2 —

ومن خلف عشرة عقود هبت على الوادي الأمين، أنسام المجد، تحمل في أحنائها ريح «إبراهيم»، وعطر ذكراه؛ فوجدت بين جنبي الشاعر رئة مفتوحة تفيض بالحس، وروحا تنتشي للتبوغ في القتال، كما تنتشي للشوق في الجمال، ولنطق صامتين لتسمع.

في كفك السيف فاحم الأهل والدارا
وادفع به الظلم، واضرب حيثما دارا
اضرب بسيفك لا تسمع لمعتذر
لم يترك البغي للباغين أعذارا
لم يفهموا في قراب السيف منطقه
يجزهم عاري الحدين بتارا

(1) مات الشاعر يوم 17 نوفمبر 1949م.

واستطل كل صعب، حتى ألان الدنيا لإرادته، فكانت طوع أمره، وراض بدنه لنفسه، وروض جوارحه للمعالي، فكان صاحب السيادة.

ومفتاح هذا الظفر أنه اتخذ من الجمل مطية لكل غرض؛ فأصبحت الحياة بسيطة لا تعقيد فيها، وصار من المألوف المعروف عنه أن يقول «فلان يتخذ الليل جملا».

وإنه لمجتمع كريم ذلك الذي يدرك فلسفة الحياة في كلمتين هما: «الغاية والوسيلة» ويدرك حقيقة البطل في صورة فيها الجسم الجميل، والنفس الكاملة، والغرض السامي.

ولا شك أن الألعاب الحربية في هذا الغرض الذي أبديناه قد أوفت على الغاية، واختارت المسلك للتربية، فراعت بذلك أصحاب الحضارة، وأثبتت أصالتها وعراقتها كما أعوزت المقاييس التربية مما نعرفه، ولم نعرفه بعد.

محمد محمود زيتون

دعا بهم ورماهم عن معاقلهم
جرسى وصبرى وأشلاء وأحجارا

والحرب شئ فنون أنت سيدها
إن حاث السلم ، أو لاقيت غدارا

وهذا هو يصف تضحية أبطال القتال في «الفلوجة» وبسالتهم في أسلوب شيق جميل عن وقفتهم الخالدة، في القرية المحصورة.

هاتوا حديث الحرب كيف تطاحنت
لنكو منازعها ، وهان عصيها

في قــرية محصورة حكـشـفـة
في لجة هاجت وماج عضوبها

لم تدر فيها الريح أين قرارها ؟
والشمس أين شروقها وغروبها

وهكذا في كل ناحية تجده ، وهو راسخ القدم .

— ٣ —

أما شعر الفقيه بين معالم النهضة فطفرة جريئة . أحدثت روحا جديدة ، لها لونها الخاص ، ومذهبها الممتاز . بعث تباشيرها بظهور «الأملاح الثائرة» وصارت تمضى فيها قد اشتد وجهه وعلا سنامه بإخراج «ليالية» (٢) ؛ وإذا كان الشعر الحق : هو الذى ينبثق من العاطفة ، مازجا بظلال النفس ، نابضا بخفق الحياة ، فشاعرية «على طه» بارعة فاتنة ، تأمل بالصورة الحيّة في البيت الرصين فيظن أنها تحت الباصرة مرئية واقعة ، وإلا فاصبح مع الشاعر الحالم في خلواته الحلى حين يقول :

إذا ارتقى البدر صفحة النهر
وشمنا فيه زورق يجرى

ودافعت نسمة من العطر
على عبالك خصلة الشعر

حسوتها قبلة من الجمر

يالها ألوانا مسكرة مخدرة ، تطير بالروح هياما ونشوة ، وتميل بالنفس سحرا وغبطة ... هل يا لوعة الفن الرفيع إذ يخلقه ربه وحودا أسيفا ،

القاهرة بركات

(٢) أعنى أن شعر الفقيه فيه طوريه «نثره» و «ارتقاء» . وكل ديوان من الاثنين يمثل طورا .

ما رأيت وما سمعت
فى سورية ولبنان
للأستاذ حبيب الزحلاوى

— ٥ —

يستوى مدى غضب الغاضب ورضى الراضى ، ولست أبالى بأولئك الحكام الذين أزعجهم فأقلقهم ، وأثارهم فأغضبهم كلامى المستمد من الحقائق ، وهى جارحة ، وقد قلتها للشعب .

لا لأرب ذاتى ، ولا لغاية حزبية ، بل أرددته لسبب واحد هو «ضرورة إيقاف الشعب على الحقيقة» وهذا أول واجبات الكتاب .

صحيح أن الحقائق نسبية ، وأن ليس كل ما يعلم يقال ، والأصح من ذلك أن تكون الحقائق مجردة ، والأذهان مهيأة ، والخطط واضحة مبسوطة لمن كان حاله ووضعه كحال السوريين واللبنانيين ووضعهم على التخصيص ، وحال ووضع شعوب دول الجامعة العربية بالنسبة لما هى منكوبة به من احتلال واقعى ومن تدخل وبسط سيطرة ونفوذ هو بمثابة احتلال مبرقع .

وإيقاف الشعوب العربية على الحقائق السياسية فرض محتوم وواجب مقدس ، لا على الحاكم المسؤول الذى يريد أن يسير بأمته فى طريق الإصلاح والتقدم والاستقرار فقط ، بل هو أيضا فرض محتوم وواجب مقدس على الكاتب الذى يعاون الحاكم بقلمه ، وعلى قادة الرأى من الرجال العاملين والذين بمؤازرتهم ، وعلى

ضوء آرائهم يسير الحاكم بخطى وطيدة مع الشعب لتحقيق رسالته. بهذا تكون الصلة وثيقة، والروابط قوية بين الحاكم والمحكوم.

أما إذا كان الحاكم غير ديمقراطي بالنزعة، وكانت له دساتير وقوانين دستورية كما هو الحال، وكان ممن يلبس الوجه البشوش والثغر الباسم للأجنبي المستقوي الطامع، ويطأطئ له الرأس كما هو الواقع، ويلبس للشعب جلد الأسد المصور المكشر عن أنيابه، يعمل بالسر عكس ما يقول ويعلن، وكانت له صحافة طيعة الرأس لينة العجينة، يتسابق كتابها في إنشاد أغلاظهم فيجعلون منها ناراً حادثة تحرق البخور العطر للحاكم وتضليلاً للشعب كما هي الحقيقة، فقل السلام والرحمة على ذلك الشعب المسكين، واعلم أن نكبته بحكامه وصحافته أعظم وأدهى من نكبته بالمستعمر الطامع، وأن مصيره بعيد من الغاية التي أوهموه أنه صائر إليها.

وقف فلان من صديقه الحاكم يقول له في معرض الحديث « إن الحاكم القوي بعمله لا يخشى صاحبة الجلالة، علنية كانت أو غير علنية، ووددت لو يزداد في عهدك عدد الأقلام الناقدة فتكون لك خير نبراس للهدى » فيؤمن الحاكم النير الذهن ويعد بأن يشجع الصحف الناقدة ليسترشد بها، وإذا بهذا الحاكم النير الذهن يوعز إلى زبانيته في قلم مراقبة المطبوعات أن تنزع من صحيفة الرسالة الصفحات التي فيها مقال « ما رأيت وما سمعت في سوريا ولبنان ».

* * *

من هو الحاكم؟ الحاكم في حكومة جمهورية فرد من أفراد الشعب توفرت لديه الكفاية من موهبة وعلم وعزيمة، ينتخبه نواب الأمة للعمل في خدمة الشعب. والحكام الذين تداولوا مقاعد الرياسة في سورية على نوعين، نوع اختارته السلطة الأجنبية المحتلة، وفرضت رياسته على الشعب فرضاً كالشيخ تاج الدين الحسيني ومحمد علي العابد وسواهما، ونوع اصطفته الأمة، وولته الرياسة تولية شرعية دستورية لا غبار عليها كالسيد شكري القوتلي، وكل حاكم يحتل مقعد الحكم سواء أكان رئيساً للجمهورية أم رئيساً للوزارة صنم تعبده الجماهير وأصحاب الغايات والأغراض.

عبادة الأصنام صفة أصيلة في الطبيعة الشرقية وهوى يلائم مزاجها ويدغدغ سريرتها.

وعبادة الأصنام تماثل عبادة الوثن، وكل ميت سواء كان عزيزاً علينا أو غير عزيز، تسمو قيمته بعد الموت، ويجل قدره، ويصبح له شخصية وإن كان إمعة، وتاريخاً وإن كان نكرة.

سمعت في ما سمعت في سورية أحاديث الناس في الحكومة القائمة، سمعت شكوى من تعصبها لفئة من الشعب على فئة من الشعب، وسمعت حمداً لها لوقفتها الحازم في إبان أدق مشكلاتها معه في المصالح المشتركة، وسمعت انقساماً في الرأي حيال موقفها من الجيش وزجرها من الإقدام على الانضمام إلى العراق وشرق الأردن، وسمعت ثناء على نشاطها في السعي لتسيير تدفق بناء ميناء اللاذقية وإزالة العراقيل التي تؤخر استلام القرض السعودي، وفي موقفها تجاه الحكومات العربية عن التدخل في شؤونها الداخلية، وسمعت أشياء كثيرة عن الحكومة القائمة تؤيد قول ابن الوردي التالي:

إن نصف الناس أعداء لمن ... ولي الأحكام هذا إن عدل

وسمعت الإطناب في امتداح أعمال الوزير السابق السيد خالد العظم لحنكته في تصريف الأمور الإدارية على أكمل وجه، وسمعت نقداً لعدم مقدرته الجمع بين دقة الإدارة ودقة السياسة، وسمعت من يعطف عليه ولم أر من يكي بعده من الحكم.

ورأيت ناساً يبكون حسني الزعيم، لا لصفات كاملة فيه، بل لأنه كان يريد أن يعمل، ولأن الشعب قد سمع أن صلاح الشعوب متوقف على وجود « مستبد عادل » وكان يرجوا أن يكون الزعيم ذلك « الرجل المنتظر » ولكنه ذهب فليرحمه الله، وليحسن إليه.

وسمعت من يهلل للسيد شكري القوتلي ويتحزب له، ويطالب

بعودته إلى الحكم ، ورأيتهم يتسلون آثامه بدموعهم ، ويطفئون بها من الخطيئات نيران قلوبهم ، ويغتفرون له ما تقدم من جرائمه وما تأخر من إجرامه ، ونسوا أنهم هم الذين هللوا يوم أسقطه الزعيم من أريكة الرئاسة ، وهم الذين كبروا يوم سجنه الزعيم في سجن اللصوص والقتلة ، وهم الذين طلبوا رأسه ، وهم الذين نصبوا الزينات في شوارع البلد ونشروا ألوية الفرح ابتهاجاً بسقوط شكرى القوتلي الذي فعل كذا وكذا وكيت وكيت .

كل حاكم في كل بلد صنم يعبده الناس ويرجمونه ، ومن سخرية الزمن أن عباد الحكام ينقلبون إلى كافرين ومجرمين ، وأن أتباع الحكام يتحولون ساعة سقوط الحاكم إلى رماة ومجدفين ثم لا يلبث بعضهم أن يؤول إلى رحمة وشفقة بالحاكم الصريع ، يقبلون عثاره ، ويمسحون دموعه ، ويشفون مرضه ، ويضمدون جراحه ، ويواسون آلام نفسه ، ثم يهللون له ويسبحون .

هذه صورة لمصير كل حاكم في كل شعب ، وفي كل زمان ، ولكن هذه الصورة لا تنطبق على حال السيد شكرى القوتلي بدليل أنه بعث بعد أن مات ، وتقمص بعد أن فني واضمحل .

وأنا أقول إن الذي يهوى ويسقط لا تقوم له قائمة . وإن الصيحات التي نسمعها هنا وهناك خفية بعد فينة ، إن هي إلا صراخ صبية في ريعان الصبى ترملت بفقد الزوج معلنة الإعلان الصريح من حياة جديدة مع زوج جديد ، أما الزوج الميت فلا يبعث .

الرئيس القوتلي في نظري هو من آخر من يستأهل الرحمة من كافة طبقات الشعب ، لا لأنه السيد شكرى القوتلي صاحب الصفحات المسطورة في تاريخ الجهاد الوطني منذ انبثاق هذا القرن ، ولا لأنه صاحب الجلد القوى والعزمة الجبارة في محاربة العثمانيين ومقاتلة الفرنسويين والاستماتة عليهم بالأغلال تارة والإنجليز تارة أخرى ، ولا لأنه كان « الحركة السعدية » كما كنا نسميه ، وإذ كان يقطع آلاف الأميال متنقلا بين الشام ومصر والحجاز والرياض واليمن في العمل المتواصل لاستقلال سورية وإزاحة نير الفرنسويين عنها ، ولا لشرات من الحملات أسطرها الوطنية له بحروف من النضر ، ورغم هذه الحسنات وسواها مما يعرفونها له كل سورى ؛ أقول إنه لا يستأهل الرحمة ولا الغفران لأنه أجرم في حق نفسه ، ثم في حق وطنه ثم في حق دستور بلاده؛ وكان يحسن أن يستمع إلى صيحة الأمة تقول له بموجة وإشفاق « اذهب أيها الإنسان إلى منفاك لأنك تميت دورك فشات » .

الحكم الدستوري تقليد لا تخليد ، ولكن السيد القوتلي وهو أول رئيس للجمهورية السورية المستقلة ، قد عبث بالدستور ، وسخر نواب الأمة لخدمته يقتطعون له مادة في صلب القانون الأساسي تبيح إعادة انتخابه للرئاسة أكثر من مرة . فهذا العبث الصارخ جرأ الأمة على الاستهانة بدستورها وعلى تحويره وتبديله كلما طاب لشيطان من الشياطين إشباع شهوته من الحكم ، وهذا العبث الإجرامي هو الذي مهد السبيل للانقلابات الثلاثة . وهو الذي حمل ضباط الجيش على ذبح بعضهم بعضاً . وهو الذي يفور بخور فتنة أسأل الله أن تختنق في مهدها ، وهو الذي أتى بخيوط المرير في الشوك ، وقال لأعدائه أن يشهدوا بعمالة الحكومة القائمة بإلغاء الدستور ، وهو القوانين التي سنها النواب للحاكم ، وباعتبار ما قام على الفاسد فهو فاسد ، وإعادة ما كان أيام حكمه السعيد إلى ما كان عليه ، وأن يسرحوا النواب ورئيس الجمهورية ، ويقيموهم ثم يعود بقادته إلى مقر حكمه ، وصولجان ملكه

قليل من العقل يا رجال دمشق ، قليل من الرصانة فلي مرقم بها ، لا تضيعوا الوقت في مماحكات أفلاطونية وعنعنات لا طائل تحتها ، إن سورية لا تموت وهي ما برحت تنجب الرجال؛ فلا تعبدوا الأصنام ولا تبكوها إذا هوت وانطرحت في الرغام ،

حبيب الزحلاوي

من الحوادث الأدبية

روزفلت في مصر

للأستاذ محمد سيد كيلاني

في شهر مارس سنة ١٩١٠ جاء مستر روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة سابقاً إلى مصر عن طريق السودان بعد أن أمضى فترة في الصيد في غابات السودان. ونزل في أسوان والأقصر وزار ما فيهما من آثار.

وقد أراد المحتلون أن ينتفعوا بنفوذ روزفلت الأدبي في تثبيط همم المصريين وإضعاف عزائمهم حتى يرضوا بالاحتلال وينصرفوا عن طلب الاستقلال. فأوعزوا إليه أن يخطب مطرياً الحكم البريطاني معجباً بفوائده. فقام في الخرطوم وألقى خطبة أشاد فيها بمزايا هذا الحكم وفوائده؛ كما أشاد بمزايا الدين المسيحي وفضائله وتواترت الأنباء بهذا إلى أذهان المصريين فثار الرأي العام بما سمع. وقد نظم المرحوم أحمد شوقي قصيدة فريدة هي قصيدة « أنس الوجود » وأهداها إلى الرئيس الأمريكي مرحبة بمخاطب جاء فيه « ... وأنت اليوم تغشى فوق مهد الأعصر الأول، ولحد قواهر الدول. أرض أخذها الإسكندر عريضا، وملأها على أهلها قيصر سقيما، وخلف ابن العاص فيها لساناً رحلسا ودينا، فكان أعظم المستعمرين حقيقة وأكثرهم يقينا. وهو الذي لم يعلم عليه أنه بغى أو ظلم أو سفك الدم أو نهى أو أمر إلا بين الرجاء والحذر، من عدل عمر، الذي تبليك عنه السير.

« قمت أيها الضيف العظيم في السودان خطيبا فأنصت المصر، والتفتت مصر، وأقبل أهلها بعضهم على بعض يتساءلون: كيف خالف الرئيس سنة الأحرار من قادة الأمم وسواس الممالك أمثاله فطارد الشعور وهو بهيم، والوجدان وهو يشب، والحياة وهي تدب في هذا الشعب. ومن حرمة العواطف السامية ألا تطارد كأنها وحوش ضارية، في صحراء أو بادية، كما طارت السباع الأمس تقنصها من طبا لها الجافية ... الخ » وقد وفق شوقي في هذه القصيدة توفيقاً كبيراً وأجاد إجادة تامة. ولا ريب في أن عاطفته القوية وإحساسه المتدفق وشعوره الفياض كان حافزاً له على التجويد. واهتم الشاعر في هذه القصيدة بالتنويه بمجد مصر القديم وحضاراتها ومدنيتها وما كان فيها من العلوم وما تركه الأقدمون من العمران. وقد كان قوى الأسلوب متين العبارة. وأراد الشاعر أن يكسب عطف هذا الرجل الأمريكي حتى ينتصر لمصر والمصريين ويعينهم بنفوذه الأدبي في قضيتهم الكبرى: قضية الاستقلال.

ومن قوله مخاطباً روزفلت:

يا إمام الشعوب بالأمس واليو	م ستعطي من الثناء فترضى
كن ظهيراً لأهلها ونصيراً	وابذل النصح بعد ذلك محضا
قل لقوم على الولايات أيقا	ظ إذا ذاقت البرية غمضا
شيمة النيل أن يفي وعجيب	أحرجوه فضيع العهد نقضا

لم يشأ شوقي أن يلوم روزفلت أو يعتب عليه على ما تفوه به في الخرطوم من مدح للإنجليز وإطراء لهم. وذلك لأنه كان يطمع في أن يضمه إلى جانب المصريين فرأى أن يخاطبه في أدب جم ورفق ولين، وأن يستميله إلى ناحية مصر بالتغني بهذه الآثار التي شاهدها روزفلت في الصعيد وما تدل عليه من عبقرية ونبوغ. وشعب كهذا جدير بالتقدير والاحترام، خليق بالحرية والاستقلال.

أما حافظ وغيره من الشعراء فإنهم قابلوا روزفلت بانسكاب المر واللوم الشديد والتقريع والتعنيف، وقدموا له الأدلة والحجج على فساد آرائه وخطأ أفكاره وبعده عن جادة الحق.

أنظر إلى حافظ حين يقول:

يا نصير الضعيف مالك تزري	حطة القوم بعد ذاك التكبير
لم تطيقوا جوارهم بل أنتم	في حماكم من دونهم أسوار
أنت تطريهم وتثني عليهم	تاعساً آمنا وراء البحور
ليت شعري أكنت تدعو إليهم	يوم كانوا على تخوم الثغور
يوم كانوا فتدى بمين (تيوبور	ك) وداء مستحكما في الصدور
يوم نادى واشنجتون فلبا	ه من النيل كل ليث هصور
يوم سجلتمو على صفحات الد	هر تاريخ مجدكم بالنور
ورثتم إلى الحياة وثوبا	ونفضتم عنكم تراب القبور

إنمـــا النيل والمسيسبي صنو ... ان هما خليتان للمعمور
وصعوب يفوز هـــذا بالطلا ... ق وهـــذا في ذلة المأسور

هكذا خاطب حافظ روزفلت . والشاعر في هذه الأبيات يرسل القول من أعماق فؤاده ممزوجاً بدمائه ويقول له إنكم لم تصبروا على حكم الإنجليز ولم تطيقوا مقامهم في بلادكم بل قمتم عليهم وأجليتموهم عن دياركم وطاردتموهم حتى خلت منهم أقطاركم وتمت حريتكم واستقلالكم . ثم أخذ يسائله قائلا : هل كنت تمدح الإنجليز وتشيد بفضائلهم يوم كانوا مرابطين في ثغوركم ؟ هل كنت تمدحهم يوم قمتم وأشعتم في أيام جهادكم وجهادهم ؟ يوم أن كانوا فتية في مدن نيويورك وغيرها في حلتها ؟ لا شك في أن روزفلت لا يجيب عن هذا السؤال لأنه لم يرد خدمة الحق ؛ بل أباح له ضميره الميت أن يحكم على شعب مجيد بالذل والهوان في سبيل منفعته الخاصة .

لقد دعى الرجل إلى الخطابة في الجامعة المصرية فألقى خطبة طويلة ردد فيها آراء القائلين في عدم صلاحية المصريين للحكم الدستوري والاستقلال ومما جاء فيها قوله « ... فإنك لا تجعل الإنسان مدرباً ومتسلحاً تسلحاً حقيقيا بمجرد إعطائه حربة كسيفه ، وكذلك لا تجعل أمة صالحة لأن تحكم نفسها بنفسها بمجرد إعطائها دستوراً على الورق ؛ بل تربية الفرد وتعليمه حتى يصير صالحاً للعمل في العالم تستغرقان أعواماً طويلة . وهكذا تربية الأمة وإعدادها حتى تنجح في قضاء واجبات الحكومة الذاتية لا يتأتى في عشر سنوات أو عشرين بل يلزمها أجيال متعاقبة . »

ثم قال « ... فإن بعض الدجالين الجهلاء يزعمون أن مجرد إعطاء دستور على الورق ولا سيما إذا جعلت له مقدمة ترن ألفاظها في الآذان يجعل الأمة قادرة على الحكم الذاتي . وليس الأمر كذلك أبداً . الخ »

ظن روزفلت أنه قادر بمثل هذه الأقوال على القضاء على الروح الوطني عند المصريين وإخماد أنفاسهم وتدمير عزائمهم فيقبلون حياة العبودية والاحتلال راضين مطمئنين . ولكن خيب الله ظنه وأخزاه فلم يفلح في ما سعى إليه بآرائه فشل عليه ولم يكن الشعب المصري من الغفلة والسذاجة بحيث ظن ، بل كان يقظاً حساساً . وعلى هذا فإن خطابة روزفلت أثارت حفيظة المصريين أجمعين وأشاعت في نفوسهم نيران الحقد والبغض للمستعمرين وأنصارهم . فكأن الرئيس الأمريكي والحالة هذه قد أساء إلى الحاقدين وأثار في نفوسهم زوبعة عنيفة . انظر إلى ما قالته صحيفة الأهرام في عدد ٣١ مارس سنة ١٩١٠ وهو « ما خطر لنا في خاطر أن المستر روزفلت يمر بهذه البلاد مرور العاصفة تترك وراءها دوياً كبيراً أو مرور الصاعقة تهز أعصاب البلاد هزاً عنيفاً . بل لم يخطر لنا بخاطر أن تكون زيارته مثاراً يثير كوامن الأقلام وعضاً تحرك به نيران الأحقاد فتسمع بعد رحيله عنا من ترداد كلامه ما أسكره العقلاء وتبرأ منه ومن إثارة زوابعه الهوجاء . ولكن أبى روزفلت إلا أن يقول كلمة هاجت من الناس شجوناً وحركت سكوناً وأورثت كامناً ... الخ » ففي هذه الفقرة تدرك مقدار ما أثارته خطابته من آثار سيئة في النفوس .

وقد ثار الكتاب والخطباء والشعراء للرد على الرئيس الأمريكي فامتلأت الصحف بالمقالات الطويلة في هذا الموضوع ، والظاهر أن الكتاب وجدوا فرصة للدعوة إلى الحكم الدستوري فكتبوا وأطنبوا شارحين الحجاج المقنع والصلال الكبير الذي دعم فيه روزفلت دعاماً متهدماً . وهكذا ارتدت سهام المستعمرين إلى نحورهم وثبت المصريون على حقهم بل ازدادوا قوة وحماسة في المطالبة بالحكم الدستوري والاستقلال .

ولو عقل المستعمرون لما قاوموا هذه الرغبة ولما وقفوا في وجه تلك النهضة ؛ ولكن شهوة الاستعمار أعمتهم وأضلتهم عن سواء السبيل . وكيف يعقل أن يسكت الشعب المصري على الذل والهوان في الوقت الذي تمتع فيه الترك وأمم البلقان بالحرية والدستور وهم أقل من المصريين ثقافة وحضارة ؟ لقد اشتد تطلع المصريين إلى الدستور منذ اليوم الذي ظفر الأتراك به .

قلنا إن الشعراء ساهموا في الحملة على روزفلت ، فمن ذلك قول أحمد نسيم

محمد سواك عند كل خطاب ... لست الذي ترجى ليوم مصاب
أمبشر يهدى البلاد شبيه ... أم ضيغم مثل الهلال مجابي
برح الخفاء وإن روزفلت لنا ... من أبغض الأعداء لا الأحباب
برح الخفاء فلا تشكونوا أنه ... نعم الدخيل يمشها بالناب

أيأكو أن تركوا زخارف … تلبكم من عطى النواب
أن أرى الدستور يخطر بينكم … لا تتركوه فإنه بالباب

وقال آخر

روزفلت آلت العواطف منكرا … كرم الوفادة مرضيا إنكلترا
ما هكذا الرجل العظيم تحيله … عن مبدإ الأحرار أغراض الورى
ما أصدقوك روية من حالنا … بل كان ذلك القول إفكا مفترى
هلا سبرت شعورنا من قبل ما … تأتى الخطابة بيننا مستهترا
أتمنيت تاريخنا لسكم وتشيركم … شغلت به تلك المطالع أعصرا
حكم النفوس على النفوس مصيبة … فطلى أجدها الرئيس تكررا
حكم ضميرك يا رئيس وبعدها … فاحكم بما يرضاه عنك مسطرا

وقال الأستاذ علي الغاياتي

لعمرك لست بالرجل الهمام … إذا عد الهمام من الكرام
كرام الناس أصدقهم حديثا … وأبعد من أكاذيب اللئام
فقالك لم تقم بالقول إلا … لتنسانا أباطيل الكلام
لقد كنتم لأهل الأرض تيها … وكانت أرضكم أرض اقتتام
وكان للإنجليز لكم رؤوسا … فهل رضوا لكم هام احترام

وهكذا أفزع الشعراء فضهم وسخطهم على السائح الأمريكي الذي جر على نفسه ذلك التعصب. والشعر الذي قيل في هذا الصدد شعر ناطق ينادي كل الصدق. ولم يكتف أحد منهم بلوم الرئيس روزفلت وتسفيهه، بل اتجه إلى المصريين يحثهم على احتقار أقوال روزفلت وازدرائها ويحرضهم على مواصلة الجهاد والكفاح في سبيل الدستور الذي آن أوانه واقتربت ساعته كما زعم في شعره. وهذه روح طيبة تدل على سمو صاحبها وعلى أنه لا يعرف اليأس ولا القنوط.

أما أبيات الغاياتي فإنها امتازت بالشدة والقسوة. فهي هجاء لاذع وطعن فاحش. ولكنه لا يقاس إلى جانب طعن روزفلت في المصريين. فهو مثلا في قوله « — فإن بعض الدجالين الجهلاء يزعمون أن مجرد إعطاء دستور — الخ » من رجال الحزب الوطني الذين كانوا يلحون في طلب الدستور ليل نهار. والأستاذ الغاياتي كان وما زال من رجال الحزب الوطني. فلا لوم عليه إذا قابل وقاحة روزفلت بالشتم، وجزاء سيئة سيئة مثلها.

وقال إسماعيل صبري:

إذا سيق تبر إلى مسمع … تسير شائعة في الزحام
وإن سيق روزفلت مادونه … إليه تنحى كلام الكرام
صدقتم وأعطا من أجل … كلام الرئيس رئيس الكلام

وقد استهجن الناس هذه الأبيات وأخذوا الشاعر في قالها بألفاظ نابية، فاضطر إسماعيل صبري إلى إعادة نشرها ثم علق عليها بكلمة جاء فيها: « — وما البيت الثالث الذي هو مظنة المدح والإطراء إلا تهكم على من يقدرون الكلام على حسب مقدار قائله. » ولكن الذي لاشك فيه أن إسماعيل صبري لم يكن موفقاً في هذه الأبيات.

وقد تألفت مظاهرة وسارت إلى فندق شبرد الذي نزل فيه روزفلت وأسمعت نهجت ضده فاضطر إلى الرحيل عن البلاد ولما وصل إلى الإسكندرية قابلته الجماهير بالشتائم والسباب.

ومن الغريب أن الجامعة المصرية بالرغم من شعور السخط الذي سببه روزفلت بخطابته قد منحته الدكتوراه الفخرية متحدية بذلك الرأي العام مع أن مركزها لم يكن ليسمح لها بذلك. إذ لم تكن جامعة بالمعنى الصحيح، بل كانت قاعة صغيرة لإلقاء المحاضرات في بعض الأوقات. وعلاوة على ذلك فإن حصانة عهدها لا تخول لها حق هذا المنح.

وقد كانت هذه الحادثة تصرف الرأي العام عن الجامعة والقائمين عليها ووجهه إلى رجالها نقد عنيف وطعن شديد؛ كما أن بعض الكتاب حثوا الجمهور على عدم التبرع للجامعة من شجب درجة الدكتوراه الفخرية التي منحتها الرئيس روزفلت وكانت أول درجة فخرية منحتها تلك الجامعة الناشئة.

ولم يكتف روزفلت بما ساقه في مصر من مطاعن في أهلها بل رفض، في دار البلدية بلندن وألقى خطبة ملأها بالشتائم والسباب على المصريين. فانبرى له الكاتب الإنجليزي المرحوم برنارد شو وصفعه بمقال عنيف جاء فيه « — فلئن كان من واجبنا نحن الإنجليز أن نحكم مصر لمصلحة مصر بدون أخذ رأي أهلها المصريين كما يقول مستر روزفلت لقد كان من واجبنا لعظيم أن نحكم أمريكا بنفس نصيحة مستر روزفلت. »

قلنا إن شعور الوطني في مصر في ذلك الوقت كان ينذر بالانفجار عن ثورة ضد الاحتلال والمحتلين. وقد ظهر ذلك واضحاً جلياً برفض المصريين أجمعين المشروع الذي عرضته شركة قناة السويس لمد أجل امتيازها.

وهذه الفترة من تاريخ مصر حافلة بقصائد الشعر السياسي التي كانت تغذيه عاطفة ملتهبة وشعور متدفق

محمد سيد كيلاني

شعراء معاصرون مغمورون

للأستاذ الدكتور محمد كامل حسين

١ — حسن الطنطاوى سليم

روى ابن خلكان في حديثه عن ربيعة الرأي أن بكر بن عبد الله الصنعاني قال : أتينا مالك بن أنس فجعل يحدثنا عن ربيعة الرأي ، وكنا نستزيده من حديث ربيعة ، فقال لنا ذات يوم : ما تصنعون بربيعة وهو نائم في ذلك الطاق ؟ فأتينا ربيعة فأنبهناه وقلنا له : أنت ربيعة ؟ قال نعم . قلنا : أنت الذي يحدث عنك مالك ابن أنس ؟ قال نعم . قلنا : كيف حظي بك مالك وأنت لم تحظ بنفسك ؟ قال : أما علمتم أن مثقالا من دولة خير من حمل علم !!

هكذا استطاع ربيعة الرأي بهذا الرد أن يمكث من جاء يؤنبه ، وكانت كلماته هذه أصدق تصوير لما عليه المجتمع في كل العصور ، وكل البيئات ، فقد أدرك ربيعة أن العالم لا يعظم قدره إلا إذا اتصل بذي سلطان ، وأن الشاعر لا ينبه ذكره إلا إذا عاش في كنف عظيم ، وأن الأديب لا يحمد أمره إلا إذا حظي بصحبة من بيدهم الأمر . والتاريخ يحدثنا بأنه قل أن نجد عالما نبغ علمه في حياته ، أو شاعراً سار شعره ، أو فنانا علا صيته إلا وجدنا وراءه صاحب أمر يقدمه إلى الناس ، وعندئذ فقط يلقى من الجماهير تقديراً لفنه ، وإشادة بذكره وإعجابا بمواهبه ، أما هؤلاء الذين وهبوا ملكات علمية أو فنية ولم يستطيعوا الاتصال بحاكم أو كبير فهم يعيشون منطوين على أنفسهم ، منزوين في عقور ديارهم ، لا يشعر بهم أحد ، ولا نعرف ملكاتهم ولا تقدر مواهبهم . فمنهم من لا يقوى ملكته الفنية لأن الناس حوله لا يشعرون به ، ومنهم من ينمى مواهبه وملكاته إرضاء لنفسه دون الحاجة إلى إرضاء الناس وهؤلاء هم الذين سنتحدث عنهم محاولين أن نظهر شخصيتهم الفنية ، لأن هؤلاء أولى بالحديث عنهم لأن الفن أصيل عندهم . وهم كما قال أرسطاليس يعيشون للفن فقط ، ومن هنا كان منهم أرفع وأرق من فن كثير ممن حظوا بشهرة واسعة ، واتسعا عريضا ، ونالوا تقدير الجمهور وإعجابه .

وأول حديث لي عن الشعراء المغمورين ، هو الحديث عن شاعر معاصر هو الأستاذ حسن الطنطاوى سليم مدرس العربية بمدرسة المنيا الثانوية ، فقد سمعت منذ شهور قطعة من شعره كان يحفظها صديق زميل ، فأعجبتني تلك القطعة لما فيها من شاعرية وفن أصيل ، ولاحظت أن الشاعر لم يكن من المتكلفين ولا من المتعمقين ، إنما يرسل الشعر عن طبيعة فنان متمكن من فنه في ألفاظ سهلة يسيرة ليس بها غموض ولا تعقيد ، فهو يقول في هذه القطعة

رأى في الهجر متسعا	تخلى الزهد والورعا
وأقسم لا يرى قمرا	بدا ، إلا به ولعا
فصار الحب مذهبه	وعاد اشيمه تبعا
وصرف الدهر شيبه	وصير رأسه شيعا
ودق الهم أعظمه	فما تاب ولا امتنعا
عذاب الحب شرعته	رضينا بالذي شرعا

حقيقة أرى كثيرا من الشعراء المتقدمين تناولوا الغرض في شعرهم ، وذكروا أمثال هذه المعاني ، ولكن الشاعر الحديث أرق من القدماء ولا سيما البيتين الأخيرين .

طلبت المزيد من شعر هذا المغمور ، وأردت أن أعرف شيئا من ترجمة حياته ، فكان من حظي أن ألقاه وأتحدث إليه ويتحدث إلي ، فعرفت أنه رجل عصامي حقا ، نشأ في أسرة فقيرة ، ولكنه كافح في الحياة ، وذاق الحلو والمر ، واضطر إلى أن يختلس قوته في الوقت الذي كان يهيء نفسه فيه للحصول على الشهادات الدراسية ، يشتغل مرة كاتبا عند صائغ ، ومرة أخرى كاتبا عند محام ، ثم يحصل على كفاءة التعليم الأولى فيعين مدرسا إلزاميا فناظرا إلزاميا أيضا ، ولكن لم تقعد به همته عند هذه الوظائف بل درس وجد في الدرس حتى حصل على دبلوم التجارة الليلية في نفس السنة التي حصل فيها على شهادة تجهيزية دار العلوم ، وقد ساعدته مواهبه وملكاته على أن يحصل على هاتين الشهادتين من المنزل دون أن يتلقى العلم عن مدرس بالرغم من كدحه في أعماله الأخرى التي اضطرته إليها الحياة ، واستمر في كفاحه حتى حصل على إجازة التدريس في دار العلوم وتقلب في مناصب التدريس بالمدارس الابتدائية والثانوية حتى استقر به المقام في بلده الذي نشأ فيه ، وأصبح قانعا بما وهبه الله من سعة في الرزق . فازدهت

إكباراً له وإعجاباً بنشاطه وجهده ، واستمعت إلى أشعاره ، فعجبت كيف ينمو مثل هذا الفن ، ويجهل مثل هذا الشاعر المكافح المجاهد في الحياة . أنشدني قطعة من قصيدته « معجزة القرآن الكريم » وفيها يقول :

قالت أتطرب بعد فوت أوانه * وترى خلوف البشر بعد زمانه
وأراك في مرح الصبا وكأنما * عاد الشباب إليك في ريعانه
قلت اسمعي يا عز لا تتعجبي * إني سمعت الله في قرآنه
والجن قد سمعت به فتعجبت * من رشده ، وصغت إلى برهانه
(عمر) الذي قد كان جد معاند * للمسلمين يلج في طغيانه
لما تلا (طه) استفاد صوابه * ورأى الرسول يجوح في إيمانه
وأنا الأديب تلوته وعرفته * فسجدت عجزاً عند سحر بيانه

• • •

(ومحمد) لم يختلقه وإنما * مولاه يسره لنا بلسانه
الله قائله وناسج برده * والمعطى الميزان في مكانه
لا يدعي أجراً على تبيانه * فالله آجره برحب جنانه

• • •

قد أعجز الفصحاء منذ نزوله * حتى يصير الدهر في أكفانه
إن كنت تنكر ذاك هات بسورة * من مثله وانزل إلى ميدانه
أو فاقطع الصخر الصلب فإنما * مولاك وازنه على ميزانه

• • •

أين السفينة ؟ أين بعض حطامها ؟ * يروي لنا ما كان من طوفانه
أين العصا ؟ تحكى لنا بلسانها * ما كان من فرعون أو هامانه
أو طين عيسى فيه ينفخ داعياً * فإذا به ما سير على أقدامه
بل أين ناقة صالح في شربها ؟ * ولهيب إبراهيم تحت دخانه
ذهبت جميع المعجزات ولم يزل * حياً يشير إلى الهدى ببيانه

من هذه القصيدة الجليلة نرى الشاعر يتأثر بالقرآن الكريم ، ويجرى لسانه بالحديث عن إعجاز القرآن حديث رجل امتلأ بنور الهدى والفرقان ، فاقتبس في قصيدته بعض آيات القرآن ، وضمن قصيدته معاني آيات أخرى ، نظمها في هذا الشعر السهل الرقيق ، ثم نرى الشاعر وفق في اختيار الألفاظ التي تلائم المعنى الذي يقصده ملاءمة تامة ولا سيما في البيتين الرابع والخامس ، ففي

البيت الرابع يتحدث عن عمر قبل الإسلام فقال إن عمر كان « يلج في طغيانه » وفي البيت الخامس يتحدث عن عمر بعد الإسلام فقال إنه « يجوح في إيمانه » واستعماله ذلك يدل على أن الشاعر أحسن كل الإحسان في اختيار هذه الألفاظ التي تدل على ما يرمي إليه مع ما فيها من الموسيقى اللفظية التي تلائم المعنى . وجميل من الشاعر أن يتحدث في آخر بيت من القصيدة عن معجزات الأنبياء وأنها ذهبت وليس لها أثر الآن ، ولكن القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى التي لا تزال بل ستظل باقية إلى أن يشاء الله .

وشاعرنا مصري تتمثل فيه خصائص البيئة المصرية ، وتتجلى شخصيته الفنية في مقطوعاته الفكاهية ، ومداعباته لإخوانه ، أو حديثه عما يحيط حوله من ألوان الحياة ، والمصري كما قال بعض النقاد — يميل إلى الفكاهة ويتذوقها ، ويطرب لسماعها ، والأدب المصري منذ أقدم العصور ملئ بالفكاهات الشعرية وغير الشعرية ، حتى لتعد الفكاهة ضرورة من ضروريات الحياة المصرية ، والشاعر حسن طنطاوي ساهم بسهم وافر في هذه الناحية حتى لتكاد تذهب إلى أن شعره كله في الفكاهة بل في المجون ، ومتى كانت الفكاهة المصرية خالية من المجون ! .. استمع إليه وهو يداعب معالي عبد الحميد عبد الحق باشا وزير التموين سائلاً إياه أزمة السكر ، وكان الشاعر أصيب بمرض البول السكري .

قل لعبد الحق إني لا أتيته * لا تخف منا يصيب السكرا
إن عندي منه قصراً هائلاً * يترك الأمصار طراً والقرى
أشرب الماء طيباً صافياً * فإذا السكر فيه قد سرى
أبيض اللون فإن سلطته * صار في الأنبوب شيئاً أحمرا
فالسكر تموين (عبودا) وفي * مصر من سكر يكفي الورى

أو استمع إليه وهو يصف (السويس) إبان الحرب وقد تزاحم فيها الناس ، واشتد بها الغلاء ، وتساقطت عليها القنابل ، كل ذلك في صور متلاحقة سريعة يتلو بعضها بعضاً كأننا نشاهد عرضاً سينمائياً .

خرجت من السويس وفي فؤادي * تروح مالها قسط الختام
لأني بها غلاء لا يداني * حلا في جيبه الموت الزؤام
وأزمة مسكن دون المراجع * فليس بها لمغترب مقام
زحام ما رأيت له مثيلاً * تعالى أن يقال له زحام

في موكب الذكرى :

أبو القاسم الشابي

(بمناسبة ذكراه السادسة عشرة)

في توزر ، تلك البلدة الجميلة بتونس ، وفي صباح يوم من أيام عام ١٩٠٩ ، فوق فراش وثير ، وفي بيت مجد وجاه ، رزق الشيخ محمد بن أبي القاسم الشابي طفلا أسماه « أبا القاسم » تيمنا باسم جده .

فيا ترى هل علم المهد الوثير ، والبيت الكبير ، والشيخ الوالد ، أن هذا اليوم كان يوم ميلاد شاعر عبقري ، خلقه الله ليكون شاعرا وحسب ، وأوجدته الطبيعة قطعة منها ليصورها نقشا شعبيا ، وهتافا ساحرا على أوتار القلوب الحساسة والعواطف الجياشة ... حفظ أبو القاسم القرآن ، شأن كل طفل يولد في بيت إسلامي ، وبلد إسلامي في ذلك الحين ، ولما شب التحق بجامع الزيتونة وهو صورة مصغرة من الأزهر في تونس .

أخذ شاعرنا يدرس علوم العربية على نظامها البالي العتيق ، من متن وشرح وحاشية ، وسار بخطى موفقة يبرزها ذكاء وقاد ، وميل طبيعي إلى القراءة والاطلاع ، حتى نال شهادة « التطويع » عام ١٩٢٦م ، ثم التحق بكلية الحقوق التونسية ، ونال إجازتها مفقوة ، وأراد أن يتم دراسته ، فتصدى له مرض الصدر جبارا عنيدا ، لانلا : مكانك ، فكف الفتى على علاجه ، ورجع مبتسما هادئا يتعلم في مدرسة الحياة .. ويكب على القراءة والاطلاع إكباب النهوم على الطعام ، يقرأ في الأدب القديم باستيعاب وتفهم ويعب من نبعه الصافي ، حتى أسلست له اللغة قيادها ، وأتته طائعة مختارة ، يقبل على الأدب الحديث ، إقبال الشوق المستهام ، بذهن صاف وسراج شاعري كأنه المرآة يميز بين الغث والسمين في سهولة ويسر ؛ وكان من نتيجة قراءته للقديم وإقباله على الحديث أن أخرج كتاب (الخيال الشعري عند العرب) وهو دراسة للأدب العربي في جميع عصوره على ضوء النقد

كأن الناس (سردين) فبعض ... على بعض ... وفي أكرهوا الزحام

ترى في ساحها سمكا ولكن ... على أقدامنا سمك حرام

يكاد القول فوق السوس يجري ... من الأطباق حتى لا يرام

كسيارات يترول عليها ... صهاريج يسيرها همام

شهدت بهما أهالي كاملات ... بغير سواد تحمتها غرام

قنابل في شظاياها قناء ... وفي نيرانها رقص الحمام

فعلك جوانحها ، أما تراها ... مقبرات يسابقها (الترام)

جيوش في بطون الأرض تجري ... وفي جدران أدؤونا قيام

لبسن الليل توبا من سواد ... أليس الشر موطنه الظلام

تكاد على أسرتنا تناجي ... وترقد لا تخاف ولا تضام

كأن القط حلفها أمونا ... ويين كلاهما أبدا دوام

ذواهب آمنات راضيات ... كأن قد ضمها البيت الحرام .

ألست معي في أن فكاهات الشاعر حسين شفاوي هي فكاهات تتمثل فيها الروح المصرية المرحة ، وأن شعره يتناسب مع البيئة المصرية الباسمة الهادئة التي تميل إلى المسالمة في كل شيء فلذا بألفاظ الشاعر مطبوعة بهذا الطابع المصري اللين البسيط ، وأنه يحاول أن يحلي شعره ببعض ألفاظ وتعبيرات مصرية خالصة مما يستعملها الناس في حياتهم العامة ، ولا يبالي الشاعر إذا كان هذا اللفظ عربي الأصل أو غير عربي مادامت الكلمة قد دخلت إلى لغتنا العربية واستعملها الناس وفهموا مدلولها ، شأنها في ذلك شأن آلاف الكلمات التي دخلت قواميس اللغة العربية في العصور السابقة وعرفت بأنها دخيلة ولكن الشعراء استعملوها وأجازها النقاد والأدباء ، فشاعرنا لم يتقيد بقيود علماء اللغة العربية ، فهو يحافظ على اللغة وسلامتها من ناحيته ، ويجدد فيها ويعيد إليها الحياة باستعمال بعض كلمات اصطلح الناس على تسميتها بالعامية ، فشأنه في ذلك شأن الشاعر البهاء زهير الذي لم يتردد في أن يكثر من استخدام التعبيرات العامية المصرية في أشعاره وإن أغضب في ذلك نحاة عصره ولكن النقاد الأدباء احتفوا بشعره ، ولا يزال النقاد إلى الآن يعجبون به ، ولنا رجعة إلى الحديث عن الشاعر مرة أخرى

محمد كامل حسين

الحديث . ولم يلم أبو القاسم لغة أجنبية ، وهو بالرغم من ذلك مجدد ؛ بل زعيم من زعماء المجددين في العصر الحديث — يعرف ذلك كل مطلع على شعره متذوق له ، وهي ناحية من نواحي عبقرية شاعرنا المجيد .

وكان أبو القاسم مغرما بأدب المهجر ؛ وبخاصة مدرسة جبران خليل جبران ؛ ومع ذلك فقد كان رحمه الله نسيج وحده منفردا بمدرسته .

... ولقد اشتدت عليه وطأة المرض حتى طواه الردى في فجر يوم ٩ أكتوبر سنة ١٩٣٤ ولما يتجاوز الخامسة والعشرين بعد .

كان أبو القاسم — رحمه الله — شاعر طبع رقيق ، وعاطفة متقدة ، وإحساس نبيل ، أذاقه المرض من ويلات الحياة الكثير ، وقد ظهر أثر ذلك في شعره جليا فكنت تحس فيه الألم العميق العبقري ، والشكوى المريرة التي تمسها بقناع جميل من خياله الفسيح ، فمن قصائده : قلب الأم ، والأماني السكرى ، والجنة الضائعة ... إلخ وغير ذلك مما يخدع القارئ أن يظن لأول وهلة أنه إنما كتبها وصفا لشيء ، وما هو في الحقيقة إلا وصف عميق لأغوار نفسه الكبيرة .

ولأبي القاسم أكثر من ناحية في شعره ، فهو تارة فيلسوف ساخر ، وأخرى ثائر جبار ، وثالثة يائس مستسلم ، كل ذلك يعبر عنه في همس شاعري رقيق ، وأداء نفسي جذاب ، وتصوير فني ممتاز ؛ فأبو القاسم الفيلسوف الساخر الذي يقول :

لست يا أمي أبكيك لمجد أو جاه
سلبته مني الدنيا ، ورزتني رجاه
فأنا أحتقر المجد وأوهام الحياة

هو نفسه أبو القاسم الثائر الجبار الذي يقول في « نشيد الجبار » :

سأعيش رغم الداء والأعداء ... كالنسر فوق القمة الشماء
أرنو إلى الشمس الكئيبة هازئا ... بالسحب والأمطار والأنواء
وأقول للجمع الذين تجشموا ... هدمي وودوا لو يخر بنائي
ورأوا على الأشواك ظلي هامدا ... فتوهموا أني قضيت ذمائي :
إن المعاول لا تهد مناكبي ... والنار لا تأتي على أعضائي

وهو نفسه أبو القاسم اليائس المستسلم الذي يقول في قصيدته « في ظل وادي الموت » .

قد رقصنا مع الحياة طويلا ... وشدونا مع الطيور سنينا
وعدونا مع الليالي حفاة ... في شعاب الزمان حتى دمينا
وأكلنا التراب حتى مللنا ... وشربنا الدموع حتى روينا
ثم ماذا ؟ لقد أصبحت في الدنيـا بعيدا من لهوها وغناها
في ظلام الفنـاء أدفن أيا ... مي ولا أستطيع حتى بكاها
وزهور الحياة تهوي بصمت ... محزن مضجر على قدميا
جف سحر الحياة يا قلبي البا ... كي فهيا نجرب الموت هيا

أو يقول في قصيدته « الأماني السكرى » معبرا عن حبه العميق للحياة :

أيها الدهر ! أيها الزمن الجا ... ري إلى غير وجهة وقرار
أيها الكون ! أيها الفلك الدوار ... بالفجر والضحى والنهار
أيها الموت ! أيها القدر الأعمى ... قفوا حيث أنتمو أو فسيروا
ودعونا هنا تغني لنا الأحـ ... ـلام والحب والوجود الكبير

ولكنه يشعر بنفسه الكبير أن الدهر ، والزمن ، والكون ، والموت لن يتركوه تغني له الأحلام والحب والوجود الكبير فيستدرك استدراك الحس الرقيق :

وإذا ما أبيتمو فاحملونا ... ولهيب الغرام في شفتينا
وزهور الحياة تعبق بالعطر ... وبالسحر والصبا في يدينا

حقا ! إن كل إنسان محب للحياة ... ولكن هناك تفاوت في صور الحب بمقدار تفاوت النفوس البشرية ... ! وأبو القاسم صاحب نفس رقيقة جياشة يحب الحياة في أرق شيء فيها وأنبله ، إنه يحبها في الحب نفسه ، فيود أن يموت وعلى شفتيه لهيب الغرام ، وزهور الحياة والصبا في يديه . ولأبي القاسم ولع بالطبيعة فنفسه الشاعرية مرآة صافية وبيئته سواء في (توزر) أو في (عين دراهم) بيئة طبيعية الجمال ، فلا عجب إذا انعكست صورها في مرآة نفسه ، فاستمد تشبيهاته منها وصورها لنا تصويرا حليقا بالإعجاب في جل شعره إن لم يكن في كله ... !

يقول في قصيدته (صلوات في هيكل الحب) .

عذبة أنت كالطفولة كالأحـ ... ـلام كاللحن كالصباح الجديد
كالسماء الضحوك كالليلة القمـ ... ـراء كالورد كابتسام الوليد

ويقول فيها : —

في فؤادي الرحيب معابد أكوا ... ن من السحر ذات حسن فريد

وشموس وضاءة ونجوم ... تنثر النور في فضاء مديد

ويقول في قصيدته « نشيد الجبار » :

يصغي لمضحك الجداول في حرير السائية

في أنة المزمار في لغو الطيور الشاديه

في ضجة البحر الجلجل في هدير العاصفه

في لجة الناجاة في صوت الرعود القاصفه

في فتنة الشفق الوديع وفي النجوم الباسمه

في رقة الفجر البديع وفي الليالي الحالمه

في رقص أمواج البحيرة تحت أضواء النجوم

في سحر أزهار الربيع ، وفي تهاويل الغيوم

في مشهد الغاب المجرد والورود الذاويه

في ظلمة الليل الحزين ، وفي الكهوف العاريه

وهكذا — هكذا ، صور وتشبيهات خلابة يستمدها من الطبيعة ، وأشق عليها من روحه الحية الكثير ، مما يحمل القارئ على الثقة بأن هذا اللون من الشعر جديد في بابه ، بالرغم من إيغاله في القدم .

ووحدة القصيدة من المميزات الواضحة في شعر أبي القاسم ؛ فلا يكاد القارئ يحس « من مطلع القصيدة إلى ختامها ، بنشاز بيت واحد أو نبوه أبدا ، وهو مجدد في تعبيراته فضلا عن أفكاره ، ألمس ذلك في كل شعره ، وأحسه كلما قرأت منه أثراً في أي موضوع كان .

يقول في قصيدته « يا شعر » راصداً الموت :

يا أيها الأجنحة السكون كأنه الليل البهيم

اسكن طيف الموت قاس ، والدجى طيف رحيم

ويقول فيها أيضا :

أرأيت أزهار الربيع وقد ذوت أوراقها

فهوت إلى صدر التراب وقد قضت أشواقها

ويقول في « صلوات في هيكل الحب » .

وحياة شعرية هي عندي ... صورة من حياة أهل الخلود

أو يقول في (الجنة الضائعة) .

لا نسأم اللهو البرئ ، وليس يدركنا الفتور

فكأننا نحيا بأعصاب من المرح المثير

فأجنحة السكون ، وصدر التراب ، والحياة الشعرية ، والأعصاب التي هي من المرح المثير ... كل تلك التعبيرات الرقيقة في ألفاظها ، تحمل ما تحمل من عمق الفكرة وسمو الأداء .

وشعر المناسبات عند أبي القاسم قليل إن لم يكن معدوما ، بيد أن له في الوطنية شعرا رقيقا قويا .

ومن أقوى ما قال في شعره الوطني قصيدة « لهفي » المنشورة بالعددين (٧٠ ، ٦٦٤ من الرسالة) التي يقول في مطلعها :

أيها الشعب ليتني كنت حطابا ... فأهوي على الجذوع بفأسي

ومن شعره القوي في هذا الموضوع قصيدته التي يقول فيها : —

إذا الشعب يوما أراد الحياة ... فلا بد أن يستجيب القدر

ولا بد لليل أن ينجلي ... ولا بد للقيد أن ينكسر

أما بعد : فما قصدنا بكلمتنا إلا إشارة عابرة إلى تلك العظمة في عالمها النوراني الساحر ؛ وعلى كل حال فأفضل من عجز الخيط طاقة التعبير .

وإنا لنتجه بمناسبة هذه الذكرى إلى أدباء العربية قاطبة في جميع بلدانها من مصر إلى المهجر الأمريكي ، ومن فلسطين إلى تونس آملين أن يقوموا بواجبهم إزاء هذا الشاعر الشاب الذي هوى من عليا سمائه وهو لا يزال في ميعة العمر ، وريق الشباب ، فيخرجوا قصائده « من أغاني الحياة » فتأخذ طريقها إلى المكان اللائق بها في المكتبة العربية الحديثة .

ألا رحم الله تلك الروح ، وضمها إلى أفيائه وفي ظلال جناته ، وجزاها على ما قدمت لأمتها خير الجزاء .

رجاء عبد الرحمن النقاش

المراجع : ١ — شعر أبي القاسم في مجلات أبولو ، الرسالة ، المجلة ، الإمام .

٢ — العدد الأخير من مجلة « أبولو » .

٣ — العدد (٧٠) من الرسالة .



رقدة الملاح

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

• نظم الشاعر هذه القصيدة لتلقى في حفلة التأبين الكبرى التي أقيمت لصديقه الشاعر الخالد علي محمود طه بمدينة المنصورة منذ شهور .. وحال بينه وبين الشعر كل ذلك ليلقى قصيدته فتوجه إلى حبه الموعود هذه الذكرى الغالية الرجيبها بأنها حرابيانه! •

لم يبق لي في طريق العمر أحباب ... خلا الطريق وأحباب الرؤى غابوا
كانوا خيالا، وكان العيش حلم كرى ... مضى به قدر العمر نهاب
لم أنس آخر لقيانا وقد دمعت ... شمس الأصيل ورقت منه أهداب
وأنت في حجرة كان الشفاء بها ... وهماً، وساءلت صراع الطب وثاب
كدمعة في جفون الحين بارقة ... حتى يجيء لها في الخد تسكاب
روح تشف من الأحلام حائرة ... والجسم قد شفه سقم وأوصاب
ترنو إلى الأفق الداجي فتحسبه ... دجى من الحزن قد حاكته أهداب
تقضي لياليك بعد الأنس منفرداً ... لم يهو ساحتك خلان وأتراب
سأمان ترقب أياماً مشربة ... كما تحول نحو الغرب جواب
كحانة في ظلام الليل نائية ... حفت على صدرها المهجور أعشاب
في هزة لم يقصر ليلها سحر ... ولم تكن في دياجيها الجم أكواب
قد ادها الصمت إلا بعض همهمة ... كأنهم هاموا في غاداتها الغاب
قاسيتها محنة ما كان قاتلها ... ينزاح عن كتف الماضي وينجاب
حتى تحطم في استهوائه أمل ... وانهار في مثل لمح الطرف أطناب
كان اللقاء وداعاً، والحديث صدى ... من عالم الغيب لم تدركه ألباب
تشكو جراحاتنا والدمع يحبسه ... عن أن يسيل أبي النفس غلاب
ترجو وتأمل والأقدار ترقبنا ... والموت يحجبه عن وهمنا الباب
يا مرسل النغم العالي صدى ورؤى ... ينصب في أذن الدنيا وينساب
غنت به ضفتا الوادي ورجعه ... من أنفس الشرق أشهاد وغياب
أمست جمرتك في الأوهام تحرسها ... كأن أمواج طلاها الشهد والصاب
ما الزهر والخمر فيها غير مائدة ... أتى عليها خلال الحزن منتاب
خلفتها أنت جلسات مقفرة ... وهي الخرائب فيها اليوم نعاب
خدعت فيها بألوان مزيفة ... وسوف تخدع أجيال وأعقاب
طوت مجاليك واغتالت مشاهدها ... كطائر الأيك قد أصماه نشاب
فتمت والحلم الزاهي على مقل ... غشى عليها خلال النور إضباب
ومت والنغمة الكبرى على شفة ... لا يقع لصداها العذب إعراب ..

* * *

الليل معتكر، والموج صخاب ... وزورق الحلم في الهوجاء هياب
ملاحه بعد طول التيه قد غفلت ... أجفانه سنة أطباقها آبوا
موسد لم يزحزح جنبه ألم ... ولم يدهده إعياء وإنصاب
أتى المجاذيف وهي والشراع لقى ... يطويه من نسمات الريح جذاب
كم صارع الموج جياشاً ومضطرباً ... ولم يزعزعه إعصار وإرعاب
مستلهماً من جمال الكون نغمته ... جداول وخميلات وأعشاب
ورقدة من جفون التيه قد زعها ... إلى الخلود هوى منهن أسراب
والحس ينبوع من علو يؤمده ... من عالم الشعر وراد وشراب
أوحى المواهب في الدنيا إلى نفر ... يفتح لهم في الخلد أبواب ..

* * *

رسام سحر الجمال، أين ريشته ... يلوح منها على القرطاس ألباب؟
كم لوحة من مراثيه منمقة ... فيها من اللمحات الغر خلاب!
قد عطل الموت فناً خالداً غنيت ... به على كرة الأجيال آداب
حفت والصفوة الأحرار ألوية ... خفاقة تتحدى كل من غابوا
فقل ما اهتز من آمالهم ودنا ... والفن مذبح قربان ومحراب
تأتلق في جلال الفن أنفسهم ... كما تبتل في المحراب أواب
كل له غاية يسعى ليدركها ... وكم تحقق غايات وآراب ... !
تنام القوم حيناً وادعوا خرساً ... أن القريض ثوى إنشاد أقطاب
وأن دولة هذا الفن قد ذهبت .. ... والشعر لم يتوقف منه دولاب
والشعر مسبح أرواح مجنحة ... إن غاب سرب تبدت فيه أسراب

* * *

إن لم تقم لبناة الفكر أنصاب ... فقد أقيمت لمهدي الفكر أنصاب
وحسبهم من خلود الأرض أنهمو ... لهم إلى جنة الفردوس أسباب

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

برنارد شو في الميزان ؟

الذين يعرفون « شو » على حقيقته ، يعرفونه من وراء هذه « اللافتات » الضخمة التي تكشف من جوانبه وتشير إليه : لافتة العقل الساخر ، ولافتة القلب الشاعر ، ولافتة الكبرياء النفسية ، ولافتة الطاقة الذهنية .. وليست هي باللافتات التي تلوح لعابر قريب من الكتاب تخاتل منك النظر دون أن تدفعك إلى إطالة الوقوف ، ولكنها اللافتات « المضيئة » التي تجذب نظرك وفكرك ، وتغير أضواءها على القريب والبعيد فلا يخبو لها بريق. وبهذه اللافتات « المضيئة » كما قلت لك ، استطاع برنارد شو أن « يعبر » مواضع قدميه في طريق الفن .. وطريق الحياة !

والسخرية في حياة « شو » هي ألمع اللافتات جميعاً ، بل هي الإطار الطبيعي الذي يحيط بكل صورة من صور هذه الحياة وهي في فنه نقطة الارتكاز التي يلتقي عندها خط الاتجاه النفسي المتقد .. هنا وخط الاتجاه الفكري المنطلق من هناك .

وهي في حياته وفنه معا ذلك المبرر العظيم لإنسانية الغضب وكبرياء الناس وأصالة الموهبة . وتضغط أنت على « زر » نفسي واحد لترسل التيار الكهربائي إلى هذه اللافتة الكبرى لتصبح « مضيئة » ، وتنتشر على « ضوئها » ما تحمل اللافتات الأخرى من « ألوان » نفسية .. ما هو هذا الزر النفسي الذي يضيء لافتة السخرية عند « شو » ، أو ما هو « مفتاح النور » لهذه الملكة الفذة التي علت على غيرها من الملكات ؟ إنه السخط .. السخط المتأصل في أعماق النفس على التقدم على بعض القيود والأوضاع !

هذه الملكة النادرة عند هذا الكاتب العظيم ، أبدتها « الرواية » وأسلوبها التجربة ، وتوجتها الموهبة بالمرض والتدريج .. لقد ولد في مهد الفاقة فسخط ، وشب في أحضان النبوغ فسخط ، وتنفس في جو القيود فسخط ، وبدأت حياته وانتهت وهي سلسلة من السخط المنثر بأثواب السخرية ! لقد سخط على الأغنياء لأنه تذوق طعم الفقر وسخط على الاستعمار لأنه نشأ في الفكر ، وسخط على الناجين لاستشعار يؤثر الثلبة والانتصار .. ثم أفرغ هذه الطاقة الساخطة في ذلك القالب الساخر ؛ الساخر من شتى المثل والقيم والتقاليد !

لقد كان السخط هو المنبع الأصيل الذي ابتدأت منه سخرية « شو » ، لتنال بشاشها اللاذع كل ما يدخل في دائرة عقلية من مظاهر الإنكار .. وما هي السخرية على التحقيق إذا لم تردها إلى أصولها النفسية من السخط الثائر على أمر من الأمور ؟ إنك لا تسخر من وضع في الحياة إلا إذا كنت ساخطاً عليه ، لأن السخرية في جوهرها ما هي إلا اتجاه عقلي إلى الحط من قيمة هذا الوضع ، والتعرض له بشيء من الهدم والتجريح ؛ والسخط أول

هم دعوا عن أسافا وهي عابسة
طم دو لقد نشروها وهي تجتاب
هم الأرل وعسوها على زينتها
وكم يحاربهم مناح ووعاب !
إن أدمسوا الليل قربا ، قال قائلها :
هو خيال لكأس الوهم طلاب !
حقائق الأرض ما أوحى خيالهم
قد صبها في احتيار النفم أحقاب
ماشوا بها غرباء الروح تجمعهم
هالات نور عليها الليل جلباب
صبوا خيالا ، وكانوا في دجنتها
كوا كب النور قاصروا وما آبوا —

* * *

(بل!) كان غروب الشمس موعدنا
يوم الخميس ؛ فأين منه أرتاب !!
أطارد الوهم من نفسي ومن وجل
كما يطارد وحش الغاب حياب
حتى تجنبت حول النبي فانتثرت
خواطرى في ظلام الحزن تجتاب
لم يبق منساك لي جهداً أغيثك به
حتى الرثاء ، ودمع العين منساب
ما أعجب القدر اللاهي بمالنا
إذ تبسم أيدي الشرة الناب !
إن فرق الموت جسميهما فإن لنا
في عالم الروح لوالبس تنجاب

حسن كامل الصيرفي

من ألوان الثورة بلا جدال . ولكنه عند « شو » ثورة عقلية مرتقبة ، هدفها التحطيم بالقلم واللسان ، وسلاحها السخرية التي تؤثر المقدم بأشول الجارح وتتنقل بالقادور مالا تفعل السياط ... هو ساخر في حياته وساخر في فنه ، وبهذه السخرية القادرة نظر إلى الحياة والفن من زواياه الخاصة ، وسلط عليهما أضواءه الخاصة ، واختلف مع كل المصورين في لقطاته الساخرة والقصصية !

ولم تكن سخرية « شو » هي سخرية العاجز حين يشكو النقص فيتندر على القادرين . ولكنها سخرية المشرف على الدنيا من فوق قمة عالية ، تريه الأشياء صغيرة مسرفة في الصغر شبيهة مسرفة في الضآلة .. ومن هنا امتزجت السخرية في دمه بالكبرياء ، سخرية الذكى بكبرياء النفس ، ثم انصهر هذا المزيج العجيب في بوتقة الحياة فنشأت منه هذه الأزمة الإنسانية التي تتسم بالعطف على الشعوب الفقيرة والحملة على هذه سواء .. أما عصفات القلب الكبير ، القلب الذى غلب يوماً على أشواك الفكر فقاد خطوات صاحبه إلى طريق « الاشتراكية » ، وعاد يوماً فنقل للفكر توجيه قلم صاحبه إلى مهاجمة الاستعمار ؟

ولابد من التفرقة بين التهكم والسخرية وبين المرح والدعابة في حياة الموهوبين ، أعنى لابد من هذه التفرقة بين كاتب مثل برنارد شو وبين كاتب آخر مثل مارك توين .. إن « التريقة » عند « شو » أساسها الطبيعة الساخطة المتركزة على أطراف كلمة ساخرة ، هدفها رفع القناع عن وجه مشوه من وجوه الحياة . ولكن أساسها عند مارك توين هو الطبيعة المرحة التي تنشد المزاح لترفيه بريء ، وهدفها أن النكتة قد « حبكت » فلا مفر من تسجيلها ليضحك هو ويشرك معه الناس ! ولكى نوضح الفارق بين الطبيعتين نقتصر هنا على نادرتين من حياة هذين وذلك على سبيل الموازنة بين الدعابة والسخرية : أما النادرة الأولى فتصور لنا مارك توين سائراً في أحد شوارع نيويورك مع نفر من أصحابه ، حين تقدم إليه أحد منكوبى الحرب ليهمس في أذنه : سيدى ، هل تتصدق على رجل (فقد) ساقيه ؟ وينظر إليه الكاتب « المرح » متظاهراً بالدهشة وهو يقول : عجيب ! كيف لم تفتش في الصحف عن هذه الأشياء المفقودة ؟! . ويغرق هو في الضحك ويغرق معه أصحابه ، ويبتسم الرجل معجباً بالدعابة ثم يمد يده ليأخذ من مارك توين منحة مالية كأجر للإعلان ! !

أما النادرة الثانية فتصور لنا برنارد شو في أحد مسارح لندن ، يرقب من مقصورته عرض إحدى مسرحياته الناجحة ، ويستمع في ختام العرض إلى هتاف بعض أبناء وطنه : تحيا ايرلندة .. وحين يتناهى إلى سمعه هتاف آخر ينطلق من بعض الحناجر الإنجليزية : تحيا جون .. يقف الكاتب « الساخر » ليعقب على الأصوات المتنافرة بقوله : أيها السادة ، لا يسعنى إلا أن أحيى الفريقين ، لأن كليهما يهتف لوطنه ! ! .. وينتقل الجمهور لأن الصفعة القاسية قد وقعت على أثر ترقب وانتظار .

أرأيت إلى الفارق بين الدعابة البريئة وبين السخرية اللاذعة ؟ إن مارك توين هناك يريد أن يداعب وأن يضحك وأن يمرح ، ولكن برنارد شو هنا يريد أن يهتز وأن يلمز وأن يجرح ! وهى بعد ذلك سخرية موشحة بالترفع مادمة بالكبرياء .. ومن مظاهر الكبرياء في حياة « شو » أن يهاجم التقاليد الإنجليزية في كل مناسبة تدعوه إلى الهجوم ، ويسخر من المثل الإنجليزية في كل فرصة تهيء له أسباب السخرية ، في الوقت الذى كانت فيه أيرلندة وطنه الأول ، تئن تحت ضغط الاستعمار البريطاني .. ثم لا يقف بكبريائه عند هذا الحد المقبول ولكنه يندفع بها إلى ما وراء المعقول فيمتدح الشيوعية الروسية ويبعث قطبها الأكبر « ستالين » ... بأنه خير الناس ! ترى هل كان « شو » يؤمن بهذا الذى يجهر به أم أن سخطه على الرأسمالية عامة وعلى الشعب البريطاني خاصة هو الذى كان ينطقه بغير ما يعتقد ويظهره بغير ما يريد ؟ الحق أنه السخط من جهة والإيمان بالرأى من جهة أخرى .. وليس هناك شيء من العجب إذا ما أحدثت كلمات « شو » في نفوس البريطانيين أثرها العميق ، لأن هذا الكاتب الساخر يختص من كل ما ألم في الحياة من مثل ويرتقى من كل ما ألم في الحياة من خصوم . ويبعث التاريخ من مرقده حين يعيد إلى أذهانهم قصة قديمة ، قصة « بايرون » شاعرهم الطريد ، يوم أن خلد عدو الإمبراطورية في عدد من قصائده الخالدة في « تشايلد هارولد » لقد أعجب بايرون بنابليون وأعجب شو بستالين ، وفر الأول

من سخط الشعب البريطاني بعد أن شهد الرجال بالأمهات ووصف النساء بالصدقات . ومات « وهو الانجليزي » — فوق أرض يونانية ! وصمد الأخير في وجه هذا السخط لأنه كان أقدر القادرين على الصمود .. ومات — وهو الارلندي — فوق أرض انجليزية !!

ومن العجيب أن يفقد « بايرون » عطف الشعب الانجليزي واحترامه ويخرج من بلاده وهو منبوذ طريد ، وأن يحظى « شو » باحترام هذا الشعب ويعيش بين أبنائه وهو مرهوب الجانب مرفوع المقام .. ويطول العجب حين تفسر هذه الظاهرة على هدى هذه الحقيقة النفسية ، الحقيقة التي تقول لك على لسان « سلم الخامس » في بيت واحد من الشعر كأنما كان يعني « بيرون » بشطره الأول ويقصد « شو » بشطره الأخير :

من راقب الناس مات غماً .. وفاز باللذة الجسور !!

هذه هي اللافتات الضيقة في حياة « شو » : لافتة العقل الساخر ، ولافتة القلب الشاعر ، ولافتة الكبرياء النفسية وتبقى بعد ذلك هذه اللافتة الأخيرة ، لافتة المفكر في الكاتب المفكر أو لافتة الفن في الكاتب الفنان

هل هو فيلسوف حقاً كما يذهب إلى خلع هذه التسمية عليه كثير من الكتاب ؟ إن ابرنارد شو آراءه القيمة وأفكاره الناضجة بلا جدال ، له هذه الآراء والأفكار في محيط السياسة والمجتمع والاقتصاد والأخلاق ، وطالما تعرض لهذه الشؤون المعقدة في عصره بالنقد والتمحيص والتوجيه ، يصبها في أسلوبه الساخر اللاذع الهدام الذي يحاول أن يقيم بناءه الخاص على ركام الأنقاض — ومن هنا يتحدث الكتاب عن فلسفته السياسية والاقتصادية والخلقية والاجتماعية إلى آخر ما يضيفون إليه من فلسفات !

أما أن « شو » كان مصلحاً اجتماعياً فأمر لا يجادل فيه ولا يختلف عليه ، فهو من هذه الناحية صاحب رسالة يؤديها على الوجه الأكمل ويقف في سبيل الذود عنها موقف كل مؤمن راسخ العقيدة برسالته قوي الإيمان . وكان أن عدد في الطليعة من أصحاب الرأي في عصره ، حين يكون للرأي قيمته في عرض ما يزخر به العصر من ألوان المشكلات . كل هذا حق يعترف به المنصفون حين يتحدثون عن الرجل في كفة المواهب الفكرية والإنسانية ؛ ولكنه على مدار هذا كله كاتب مفكر وليس فيلسوف .. إن كل فيلسوف يجب أن يسلك في عداد المفكرين وليس من المحتم أن يسلك كل مفكر في عداد الفلاسفة ! هذا إذا حددنا الفلسفة بأنها « المذهب » الفكري الكامل في ناحية من نواحي الحياة ، المذهب الذي تتكون منه الأصول والفروع وتتولد عنه البحوث والأفكار ، وتقام عليه القواعد والنظريات وتحدد له الأهداف والغايات .. فإذا أمكن بعد هذا « التحديد » أن نساير بعض الكتاب حين ينسب « الفلسفة » إلى برنارد شو أمكن أن نجاري البعض الآخر حين يلصق « الفلسفة » بأبي العلاء !!

ونعرج بعد هذا على الكاتب المسرحي الذي قدم للمسرح من الأعمال الفنية ما يربى على الخمسين .. ما هي قيمته في رأي الفن وميزان النقد ؟ أما أنه يفهم الأصول الفنية الكاملة للكتابة المسرحية الحديثة فأمر لا يجادل فيه أيضاً ولا يختلف عليه ، وحسبه في ذلك أنه تلميذ مخلص لسيد الأدب المسرحي الحديث « هنريك إبسن » ! لقد أخذ « شو » من « إبسن » وتأثر به وتتلمذ عليه ، حتى أصبح النقاد لا يذكرون اسم هذا إلا مقترناً باسم ذاك ، لما بين الاثنين من صلات الفن وقرابة الروح .

كل ما يأخذه النقد على « شو » أنه سخر فنه المسرحي لخدمة آرائه الخاصة ونقل أفكاره الخاصة ؛ تلك التي تدور حول فهمه الخاص لمشكلات العصر وما فيها من قيم لا يرضى عنها وعادات ومعنى هذا أن الواقعية في مسرحيات الكاتب الأيرلندي واقعية لا يمثلها منطق الحياة في بعض الأحيان ، لأن منطق الحياة هو منطق المجتمع العام في كل ما هو معروف ومألوف من المثل والأوضاع !

هذه كلمة لا تعطيك صورة كاملة لشخصية « شو » كما هي في واقع الفن وواقع الحياة ، ولكنها تقدم إليك المفاتيح الصادقة لهذه الشخصية لتعالج بها ما شئت من أبواب .. وخاصة وقد أصبح الرجل النائم في ضيافة الخلود !!

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

ذكرى علي محمود طه:

كانت الذكرى الأولى لوفاة المغفور له الأستاذ علي محمود طه في هذا الأسبوع، فقد توفي – رحمه الله – يوم ١٧ نوفمبر سنة ١٩٤٩. وها قد مضى عام ولم تبرح ذكراه تؤنسنا ولا يزال حر اللوعة على فقده يضطرم في أفئدتنا. وكيف ينسى «علي» وقد كان صادق الود ورائد الأنس؟ كيف ينسى من كان «دنيا الناس» بأشعاره ومعطر الأرجاء بظرفه وطرفه؟ لن ينسى علي طه ما بقيت شراقة شعره، وما بقي الأحياء الذين تركت في نفوسهم أجمل الآثار وأطيب الذكريات.

لقد كان علي طه أحد القلائل الذين يجتذبون الناس إلى قراءة الشعر في هذا العصر. كان إذا غرد لنفسه أطرب، يصور الحب والجمال فتهتز النفوس إلى قوله، إذ تجد فيه أجمل مما يصوره.. تجد فيه جمال الفن وروح الشاعر الصادق؟ وكان إذا شارك قومه أعجب، شاعر يرنو إلى أهداف الجماعة، ويخفق قلبه بحب الخير وهو في هذا أيضاً ينشد الحب والجمال، فالخير جميل وهو حب...

سلام عليك يا شاعر الحب والجمال، سلام على روحك أيها الفقيد الصديق، سلام عليك كلما افتقدناك وحدثتنا ملهماتك، سلام عليك كلما حزب أمر أو دعا داعي الوفاء، سلام عليك كلما تطلع عشاق الشعر إلى السحر والفتون

سلام عليك أيها الملاح التائه، بل سلام عليك وقد وصلت إلى الشاطئ المجهول

سلام عليك أيها الحلم الذي رأيناه، ولا نزال نتمنى لو يتصل...

هناك وهنا:

تلقى الأستاذ عبد العزيز الإسلامبولي أمين مكتبة نقابة الصحفيين الكتاب التالي من إدارة الأنباء بالسفارة الأمريكية في القاهرة:

«نتشرف بإبلاغ حضراتكم أننا تلقينا طلباً من أحد المؤلفين الأمريكيين يشتغل الآن بوضع كتاب جديد بعناية وانجرز عنوانه (دراسات توماس مان في خمسين عاماً من سنة ١٩٠١ إلى ١٩٥٠) ويعتقد المؤلف أن توماس مان زار مصر منذ أكثر من عشرين عاماً مضت، ويذهب إلى أن الصحف لابد قد نشرت عنه بعض المقالات في ذلك الوقت، وظهر تبعاً لذلك كثير من الأبحاث التي تناولت ترجمة حياته أو نقد أعماله، سواء كان ذلك في كتب أو نشرات أو مقالات في الصحف أو المجلات أو غيرها، ويود المؤلف المذكور الحصول على أسماء مؤلفي هذه الأبحاث وعنوانات المقالات التي نشرت وأرقام أعداد الصحف التي نشرتها وأعدادها ومكان وتاريخ نشرها. ويكون من دواعي امتناننا لو تكرمتم بإحالة هذا الطلب إلى الإدارة المختصة في مكتبتكم لمراجعة الفهارس والسجلات التي تكشف عن البيانات المطلوبة. ونحن إذ نقدر لكم هذه المعاونة الكريمة، نود أن نؤكد لحضراتكم امتنان المؤلف لمساعدتكم له، ونرجو أن تتفضلوا بقبول وافر الاحترام»

أعجبتني هذه الروح العظيمة، وأشفقت ألا تصل هذه المعلومات إلى طالبها، فقد لا يجدر بمكتبة النقابة – وإن كان الأستاذ الإسلامبولي أبدى استعداداً وتحمساً للمعاونة – أن توافي بكل المطلوب، ولابد أنه قد أرسلت هذه الرسالة إلى هيئات أخرى في مصر كدار الكتب المصرية، وأشفقت أيضاً أن (تعشش) هذه الرسالة في المكاتب الحكومية التي يستطاب فيها الكسل والنوم – فأحببت أن أنشرها هنا، رجاء أن يهتم بها من يستطيع الإجابة منها، فيمد هنا ثمرات...

وخطر لي هذا السؤال: ترى ماذا يحدث إذا طلب مؤلف مصري مثل هذا الطلب من إحدى السفارات المصرية؟ ولست أدري أي شيطان جعلني أتخيل الجواب على الوجه التالي: تحول السفارة الطلب إلى وزارة الخارجية، وهذه تحوله إلى وزارة الداخلية، وهذه تحوله إلى قسم البوليس التابع له المؤلف.. ويستدعى المؤلف إلى القسم، ويفتح له «محضر» يسأل فيه عن

فيه وصناعته وسنه وعمل الامته وشيخ حارته — ثم تجرؤ إلى كيف تجرؤ وأنت من الأعمال على أن تكاتب جهة أميرية بمثل هذا الكلام الفارغ . وأخيراً يخرج منه بضمانة شيخ الحارة !!

المطلوب تصحيح أوضاع .

ليست هي الأوضاع الدستورية التي يتحدث عنها المارشون السياسيون والتي ضمنوها مرتضيهم المرونة ، وإنما هي كما ترى في الرسالة الآتية :

... وبعد فإنا نتوسل إليكم سيدي — وأنت الذي لم ترد لنا رجاء — أن تتكرم بالإفادة من الحكم في هذه المشكلة أو (القضية) الجديدة التي تتحدث عنها الصحافة الأزهرية في عصر الثورة .

ليست هذه المشكلة هي بناء المدينة الأزهرية وسط القاهرة والدلال ؛ ولا في إحجام الشيوخ من إخراج العلم للناس في ثوب قشيب ، ولا في عدم مساعدة الطلاب صحياً أو اجتماعياً أو خلقياً !! لا يا سيدي ، ليست مشكلتنا اليوم من هذه الأنواع فالكلام في هذا يعد في عرف كثير من شيوخنا ، خروجاً على العقيدة .. وقد يتسطب الطالب من كليته لمثل هذا ..

وإنما مشكلتنا بسيطة للغاية ومعقدة للغاية ، وهذا ما دعانا إلى الاتجاه إليكم . أنشئت كلية الشريعة في « خرائب الدراسة » ومع أن الشرائط الصحية ، لا تتوافر في كثير من فصولها ، نجد أمراً عجيباً .. نجد أن الألواح السوداء وأعني « السبورات » موضوعة خلف الطلاب !!

ورجونا المختصين كثيراً لتصحيح هذا الوضع ، وجعلها أمام الطلاب ؟ ولكن لأمر لا نعلمه ، تصر إدارة الكلية على هذا الوضع الشاذ ! وليس بعسير على سيدي ، أن يتصور حالة الطلاب ، حينما يريدون أن يتتبعوا شرح الدرس لمسألة ما ، في السبورة ويلوون أعناقهم إلى الوراء !!

لا أدري أهذا منظر مضحك ، أم محنق ، ولكن الذي أدريه أن إلحاحنا لجعل هذه الألواح أمامنا يأتي بالفشل ، وكثيراً ما سمعنا من بعضهم أنهم كانوا يتلقون العلم — وهم على الحصر — فلا يشكون ! أما نحن طلاب اليوم .. ؟

.. وانتهينا إلى هذا الحد ..

كشكول الأسبوع

● تلقت الأوساط الأزهرية من مدريد نبأ مفاوضة تباشرها الحكومة يقوم بها معالي الدكتور طه حسين في إسبانيا ، ومن هذه الأنباء أن معاليه عين مدرساً إسبانيا لتعليم اللغة الإسبانية لطلبة المصريين بمعهد فاروق للدراسات الإسلامية ، وسوف تنظم دروس عربية في المعهد للإسبانيين الذين يرغبون في تعلم اللغة العربية .

● خطب وزير الشرق الإسبانية في حفلة التوقيع على معهد فاروق بمدريد ، فقال إن بلاده تهتم بالأدب العربي كل الاهتمام .

● كانت بر حمة المصري قد عقدت مسابقة عراقية في موضوع « موقف من الثورة » ، وقد نال الجائزة الأولى في هذه المسابقة الأستاذ محمد عمار الوكيل ، ويستدعيهم حتى ... هذه الثورة ... وتكريمه ... وكمكافأة بمصر ... أطيارها .

● قال الأستاذ عنبر في خلال البحث : إن الشاعر الطائي المصري ... في الأشعار العربية على كلمات أخرى ، غير مصرية وغير عربية ، كما يمكن أن تحترم في اللغة العربية .

● سأل الأستاذ كامل كيلاني من رأيه في « السريالية » فقال : إنه « الشعر الرمزي » . ومثلنا إشارة إلى ما يروى عن بشار بن برد من أنه رثى في الشعر جارية له كان قد باعت ، فانتقده الشعراء لأنه ... أنه مات فرقاً بأن ... أرقها :

سيدي خذ بي أتانا عند باب الأصبهاني

إنها يوم رحلنا يتناوها الحسبان

ثم أن يقول في وصف الأتان :

ولها خد أسيل مثل خد الشنفرانى

ولما سئل بشار عن « الشنفراني » قال سائله : إنه من غريب الحمير ، فإذا لقيت حماراً فاسأله !

● حدثنا من يتحدث في ركن الفلاح بالإذاعة المصرية ، يقول : « وجدت لنا العجلة ذي من قسم الحيوان بوزارة الزراعة » ، وما أحسب المتحدثين بهذه الإذاعة فهموا « العجلة » ، إلا على أنها مؤنث (العجل) ! أليست آتية من قسم الحيوان ؟ ثم أليست اللغة العربية السهلة أوضح من هذا اللغو ؟

● تقدم فرقة المسرح الحديث مرسمها في مسرح الأوبرا الملكية ، برواية « شيء جلاء » للأستاذ محمود تيمور بك ، يوم السبت ٢٥ نوفمبر الحالي .

ولو كان هم واحد هان خطبه ولكنه هم وثان وثالث ،

متعك الله بالصحة والسعادة لخدمة المجتمع البائس الحائر

ضياء الحائر

بكلية التجارة

لك الله يا ضياء ! إنك لست « حائراً » من قليل .. فقد تكشفت لنا حيرتك منذ شهور عن « حيرة الجيل الجديد في الأزهر » إزاء المؤلفات القديمة المعقدة ، تلك الحيرة التي أرجو أن تزول على يد فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم .

أما الموضوع الذي يحيرك اليوم فأمره بالغ العجب .. ولولا ثقتي بك ما صدقت هذا الذي تصف . على أنك لم تبين لنا وجهة نظر « المختصين » في وضع السبورات وراء كم ظهرياً .. فقد يرون مثلاً أن في ذلك تمريناً لعضلات العنق بتحريك الرأس فتنظر إلى الوراء ! وقد يكون الغرض أن تحدسوا ما على السبورة وهي خلفكم ، على طريقة العلية التي تعصب فيها العينان ! وقد اكتفيت بما سمعته من بعضهم أنهم كانوا يتلقون العلم على الحصير أما أنتم فاحمدوا الله على أنكم جالسون على مقاعد لا أشد شعورنكم ! أتريدون مع ذلك أن تكون السبورة أمامكم ... !

في الأمور التافهة ما يبعث أحياناً على التأمل ، ووضع السبورات خلف الطلاب في كلية الشريعة من هذا القبيل ، وأنا لا أزال أطيل هذا النظر الطريف والتأمل ... إني أيضاً حائر ...

حول مشكلة القراءة :

قرأت بالعدد ٩٠٦ من الرسالة الغراء ما تفضلتم بكتابته تعليقاً على مقال للأستاذ محمد علي غريب بجريدة الزمان عن مشكلة القراءة أو ظاهرة الإعراض عن القراءة الثقفية بين المثقفين . وقد أرجعتم ذلك إلى طريقة التعليم من إرهاق التلاميذ وما يرسبه مما يقتضيه في الكتب . وإني إذ أؤيد ما تفضلتم بذكره أضيف إلى ذلك أن الأستاذ غريب ناقش نفسه حين عرض لانهماك الموظفين تفكيرهم في تتبع منشورات العلاوات وحسبان الأقدميات بدلاً من قراءة كتاب لعبقري موهوب .

إذ كيف يطلب من مثل هذا الموظف الذي يبذل همه وتفكيره في محاولة زيادة دخله ولو قروشاً معدودات ، أن يدفع من دخله هذا الذي لا يكاد يكفي قوته وقوت أولاده ما يكفي لقوت فكره وعقله .

أليس الأجدر من ذلك طبع الكتب طبعة شعبية إلى جانب الطبعة الرخيصة الثمن ، وإذا أردتم اختبار مدى نجاح ذلك فيما كم سلسلة اقرأ التي تصدرها دار المعارف ، وغيرها . ففي ذلك تسهيل لغير القادرين من محبي القراءة وتشجيع لغيرهم علاوة على الكسب المادي والأدبي الذي يصيب الكاتب نفسه

ولا يفوتني أن أذكر في هذا المجال أن هناك كتباً كثيرة لكتاب أفاضل طبعت ووزعت بالثمن العادي عدة مرات حتى أصبحت السوق منها في حالة تشبع ، فلو أعيد طبع مثل هذه الكتب طبعات شعبية لفتحت سوقاً جديدة رائجة تعود بالخير على البلاد . وأمامنا في هذا كتب Penguin الإنجليزية وغيرها .

وختاماً تفضلوا بقبول فائق الاحترام ؟

محمود طه

تعقيبي على هذه الرسالة يشمل ما يلي :

١ — هل الموظفون يريدون أن يقرأوا ولكنهم لا يستطيعون شراء الكتب ؟ أنا لا أسلم بهذا ، فإن أي موظف يمكنه — إذا أراد — أن يستعيض عن الجلوس في القهوة بالقراءة ، وما ينفقه في الأولى يكفي للثانية ، وهل هم — وأعني بكل هذا الغالبية لا الجميع — يستفيدون من الكتب الزهيدة الثمن التي أشار إليها الأستاذ ؟ أو هل يستفيدون من دور الكتب العامة بالقراءة فيها والاستعارة منها ؟ وهناك غير دار الكتب المصرية مكتبات في كثير من المصالح والدواوين وكثير من عواصم الأقاليم وخاصة مكتبات المدارس والمعاهد والكليات . أنا شخصياً قرأت أكثر ما قرأت من طريق الاستعارة ، فلم تسعفني الظروف دائماً بشراء ما أردت من الكتب ، ومن المعروف نفسياً أن مستعير الكتاب يسرع إلى قراءته أكثر ممن يشتريه ، وهذه الملحوظة فضل إلى كبير ...

٢ — إذا سلمنا أن مسألة الثمن مشكلة ، فهي مشكلة

الكتب

تاريخ داريا

للقاضي عبد الجبار الخولاني

بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني

كتاب وجيز جم الفوائد يقع في ١٠١ صفحة من القطع الوسط من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

للأستاذ عز الدين التنوخي

عهد المجمع العلمي إلى الأستاذ المحقق سعيد الأفغاني بنشر تاريخ داريا للخولاني فاستفرغ في تحقيقه وسعه ، وقدم له مقدمة محكمة في تواريخ البلدان ، ولهذا التاريخ مزيتان تسترعيان الإعجاب :

الأولى : تفرده بروايات ومعلومات لا توجد في المطولات كتاريخ ابن عساكر الكبير . والثانية : بحث المؤلف عن داريا وأحوال أهلها وأنسابهم ، وهو ينص آخر أكثر التراجم على قرارى أصحابها فنعلم مثلاً أن صحابها كأبي راشد الخولاني الذي سماه النبي وكناه بل وقد يتساءلون عن داريا من سنة ٣٦٥ وهو عام قراءة تاريخ داريا على المؤلف

وداريا كانت قديماً أم قرى الغوطة ، والمقر الأول للمينيين ، وهي اليوم ثانية قرى الغوطة ، بعد دوما الصحة ، وحاضرة القرى الجنوبية منها ، وبها قرونا كثيرة منار العلم والأمر ، فكان يقال : « من أراد العلم فليؤل بين عنس وخولان بداريا » .

إن هذا التاريخ الذي يحق لأهل داريا أن يفاخروا به هو أحد تلك الكتب الجليلة التي ألفها أسلافنا في تواريخ البلدان كالقاهرة والإسكندرية والصعيد ودمشق وبغداد وقرطبة وغرناطة وتونس والقيروان وغيرها . ومن مفاخر رجال داريا أبو الحسن علي بن داود القاري ، وله خبر طريف يتصل بتاريخ دمشق وداريا معاً ننقله على سبيل المثال لما في هذا التاريخ الممتع على إيجازه وحواشيه من فوائد . ذلك أن أبا الحسن هذا كان يؤم أهل داريا فمات إمام جامع دمشق فخرج أهلها إلى داريا ليأتوا بإمامها إماماً لجامعهم الكبير إذ لم يكن في دمشق خير منه ، وكان فيمن خرج معهم القاضي أبو عبد الله بن النصيبي الحسيني وجلة شيوخ البلد . ولما بلغوا داريا مانع أهلوها بالسلاح في رحيل إمامهم إلى دمشق وخلو بلدهم من فضله ، فقال لهم قاضي دمشق :

— يا أهل داريا ، أما ترضون أن يشيع في البلاد أن أهل دمشق احتاجوا إلى إمام داريا ليصلي بهم ؟ فقالوا :

— رضينا ، وألقوا السلاح !

هذا ، ويدل على مبلغ عناية المحقق الفاضل الأستاذ الأفغاني في

الراغبين في القراءة ذوي الدخل القليل ، وهم نادرون ، والكثرة لا تريد أن تقرأ كتبا ولو أهديت إليهم .

٣ — أثمان الكتب عندنا أعلى من البلاد الأخرى ، والكتب الرخيصة الثمن التي تصدر في إنجلترا مثلاً هي كتب قديمة ينال طبعها بنفقات قليلة بعد أن شبع أصحابها كسباً .

٤ — انصراف الناس عن قراءة الكتب يرجع بعض أسبابه إلى المؤلفين ، فهؤلاء لا يكتبون في مسائل العصر ولا يصورون واقع الحياة ، وإنما يهربون إلى التاريخ والخرافات ، أو يتكلفون مع تأملاتهم الناحية . فالنتيجة الطبيعية أن الناس يطرقون في الكتب فلا يجدون أنفسهم فيها ، فيرغبون عنها إلى الصحافة التي تجلو لهم الواقع وتعرض عليهم صور الحياة .

٥ — أرى أننا نسرف كثيراً في الغض من شأن الصحافة من حيث فائدتها في القراءة ، أو نقلل من أهميتها بالنسبة إلى المؤلفات الحديثة . حقاً هناك كثير من المجلات السائرة التافهة ، ولكن هذا لا ينبغي أن يجور على غيرها من المجلات ذات المنهج الثقافي ؛ وكثير من الصحف اليومية والأسبوعية تنشر أشياء ذات قيمة ، وقراءة كل ذلك لا شك مفيدة ، وهي تمتاز على الكتب — كما سبق — بأنها متجددة ، تساير الزمن ، وتلائم روح العصر ، وتربط القراء بموكب الحياة .

عباس خضر

الذي أخرج لنا تاريخ داريا بهذا الضبط والإتقان أن الناسخ لهذا التاريخ شيء عامي، فكثرت أغلاطه في أعلام الرجال وأنسابهم تحريفاً أو إسقاطاً، فاقتصر المحقق في الحواشي غالباً على ما يتصل بتحقيق النص وضبط أعلامه وشرح أشعاره، ولم يتعرض لذكر الروايات التامة للحديث لأن منهجه الذي وضعه لنفسه أن يخرج للناس أصلاً مضبوطاً، لا شرحاً مبسوطاً، ولم يشتغل مع ذلك بذكر وفيات الرجال التي تركها المؤلف الذي لم يذكر من ٤٧ ترجمة إلا وفيات سبعة من أصحابها.

إن الأستاذ الأفغاني مثال لرجال الشام الناهضين بدمشق بالعلم والأدب، والذين وجهتهم لله للتحقيق بجميل الصبر والدأب، قابل الله جميل صنعه للآداب، بجميل جزائه والثواب.

دمشق
عز الدين التنوخي
عضو المجمع العلمي العربي

كتاب الخطابة لأرسطوطاليس

ترجمه وقدم له وحقق أصوله وعلق حواشيه

الأستاذ الدكتور إبراهيم سلامة

للأستاذ أحمد محمد الحوفي

كان أرسطو وما زال بدعاً في تفكيره، وينبوعاً ثراً صافياً يستقي منه الباحثون، يجترون آراءه، ويفصلون فيها القول، ويشتقون منها الأدلة كأنها من وحي هذا العصر.

وقد فطن العرب في عصرهم الذهبي إلى نفاسة مؤلفاته، فترجموا بعضها، ثم استقل في العصر الحاضر معالي الأستاذ لطفي السيد باشا بترجمة كتاب الأخلاق

ولكن «كتاب الخطابة» — وهو من أجل كتب أرسطو وأصحها نسبة إليه — ظل بعيداً عن اللسان العربي في صورته الصحيحة الكاملة إلى أن نهض بترجمته «الأستاذ الدكتور إبراهيم سلامة» ترجمة دقيقة أمينة سلسة موسومة بطابع الأديب الذواق حين ينقل من لغة يدرك بلاغتها إلى لغة يفقه أسرارها.

ولم يشأ أن يحبس همه على الترجمة وحدها، ولو أنه فعل ذلك وحده لكان جديراً بالشكران، وإنما قدم الكتاب بمقدمة حافلة في نحو مائة صفحة، تشع نوراً على أرسطو، وعلى كتاب الخطابة وهي وحدها بحث قيم، بل كتاب مستقل خليق بالإعجاب.

عرض المترجم في المقدمة حياة أرسطو وكتبه، وأثبت أصالة كتاب الخطابة من حيث إنه صحيح النسبة لأرسطو فليس لأثيره ممن تقدمه في الخطابة أو ممن تأخر عنه من تلاميذه، ومن حيث إن أفكاره أصيلة في نفس أرسطو، فهو كما يقول إرنست هافيه Arnest Havet : «ذو طريقة ونموذج تفرد به أرسطو، لم يعرض أحد من معاصريه من خطباء وغير خطباء عرضه ولا نهج نهجه، ولا تزال جدته باقية على الزمن ولا تزال خصبة منتجة»

وهو كذلك لم يقتصر على الخطابة القضائية كما فعل سابقوه ومعاصروه، بل شمل بحثه أنواع الخطابة كلها، وخالفهم في عرضهم وطريقتهم وآرائهم.

وقد تطلب البحث أن يعرض للخطابة قبل أرسطو، فتكلم عن السفسطائيين، وعن المدرسة اليونية، والمدرسة الأيلية وتعارضهما، ومناقضة السفسطائيين لهما، ثم عن حملة سقراط وأفلاطون على السفسطائيين، ونظرة سقراط إلى الخطابة ونظرة أفلاطون، ليخلص من ذلك إلى نظرية أرسطو في الفن الأدبي وتفرقته بين الفلسفة من حيث إنها علم وبين الخطابة من حيث إنها خطة ومنهج يتبعان الخطيب، ومن حيث إن هدف الخطابة الإقناع وهدف العلم البرهان — الخ.

ثم ساير كتاب الخطابة في الزمن، فبين زمن كتابته، ووضح بعثه في أوربا في القرن السادس عشر، والترجمات العدة التي تناولته من ١٦٠٨ م إلى ١٩٣٢ وقرر أنه أتقن ترجمتين اعتمد

مابهما : إحداهما ترجمة « إميل روديل Ch. Emile Ruelle » والثانية ترجمة حديثة ظهرت عام ١٩٣٢ م لـ « مدريك دوفور Médéric Dufour ».

وافترض أن يقال : إن الكتاب قد شرح قديماً ، وأضيف إلى الفكر العربي بفضل ابن سينا وابن رشد ، فماذا يدعو الآن إلى ترجمته ؟

ورد على هذا التساؤل بأنه لا يشرف الفكر العربي أن تترجم إليه آثار أرسطو مدة تراجم ، هذا على فرض أن ما قام به الفيلسوفان العربيان يعد ترجمة .

والحق أن ما نقله ابن سينا عن أرسطو من كتاب الخطابة مضطرب غامض في كثير من نواحيه وموضوعاته ، لأنه لم يعمد إلى الكتاب يترجمه ، وإنما حاول أن يستفيد منه ، فأدمج بعضه ببعض ، وخلط بعضه ببعض ، وأهمل الأمثلة الأدبية التي أودعها أرسطو كتابه ، وكذلك فعل ابن رشد ، وإن كان مختصره أسهل فهما من شرح ابن سينا .

على أن باعثاً آخر يقتضى هذه الترجمة أن كتاب أرسطو لا تزال أفكاره حية خصيبة ، ولا تزال صادقة في تطبيقها ؛ فمن الخير للأدب العربي أن يترجم ترجمة حديثة سهلة التناول قديرة على تحمل المتنبات التي كانت تسوق الترجمة القديمة المرفوضة مع ما بذل أصحابها من جهد مشكور .

على أن هذا التساؤل — وقد ورد عليه الدكتور المترجم — لا مدعاة له إذا علمنا أن كتاب الخطابة قد ترجم إلى الفرنسية عشر مرات ، فمن العجز والتهاون ألا يترجم إلى العربية هذه الترجمة المستوفية شرائط الجودة .

ثم عقد المترجم بحثاً قيماً في أثر أرسطو في البلاغة ، أشاد فيه بفضل الدكتور طه حسين في تنبيهه على العلاقة بين البيان العربي والبيان اليوناني . ونوه بهذا البحث القيم وبإعجاب المستشرق المرحوم كراوس به ، وقرر أن نفسه بدأت تساوره منذ ذلك الحين ليترجم كتاب الخطابة ، ووقف على رأى الدكتور طه حسين يبسط له وتدليل .

واقتضى ذلك أن يعرض لآراء الجاحظ وأثره في البيان العربي وتعصبه للعرب ، ورجح أن الجاحظ كان على علم بكتاب الخطابة قبل أن يترجمه حنين بن إسحاق أو إسحاق بن حنين .

واقتضى ذلك أيضاً أن يعرض لآراء ابن المعتز وأصحابها وتأثر بعضها بأرسطو وخاصة ملاءمة الأسلوب التي سماها العرب ملاءمة الكلام لمقتضى الحال ، والمذهب الكلامي الذي أخذوه من جدل أرسطو ومنطقه .

ثم عرض لتأثر قدامة بن جعفر بأرسطو ، وأحال من أراد التوسع على كتابه الآخر (بلاغة أرسطو بين العرب واليونان) .

وقد أحسن صنعاً بأن قدم لكل فصل من فصول الكتاب بكلمة موجزة جمع فيها ما تفرق من فقراته ليدرك القارئ إدراكاً جليا ما في الفصل من أفكار ، لأن أرسطو لم يكن يكتب كما يكتب المعاصرون كتابة مرسلة مترابطة ، بل كان يكتب فقرات في الموضوع الواحد ، كل فقرة تحمل فكرة .

وأحسن صنعاً بهذه التعليقات القيمة التي أضافها إلى الترجمة وهي كثيرة قلما خلت منها صفحة ، كما أنه ذيل الكتاب بفهرس مفصل يوضح مقالة ، ويرشد إلى أجزاء كل موضوع منه .

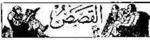
وبعد :

فإن الدكتور إبراهيم سلامه قد منح الأدب العربي بهذه الترجمة منحة عظيمة القدر بالغة الأثر ، وحقق ما كان يصبو إليه الأدباء والباحثون منذ عهد بعيد أن يقرأوا خطابة أرسطو كاملة النقل دقيقة الأداء سالمة الترجمة متسقة الموضوع ، وما من شك في أن هذه الترجمة عمل أدبي عظيم جدير بالإشادة والتقدير .

وإن الأدب العربي ليتطلع في شوق إلى الجزأين الآخرين من كتاب الخطابة ، وإلى (بلاغة أرسطو بين العرب واليونان) ، ويشرئب في لهفة إلى كتاب أرسطو في الشعر ، ويدفعه إلى ذلك ما يتمتع به الدكتور سلامه من بسطة وعمق في الثقافة ، ومقدرة على تذوق البلاغة السامية في الفرنسية والعربية ، واقتدار على التعبير الطيع ، ومكانة ملحوظة مرموقة .

أحمد محمد الحوفي

المدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول



قصة التباس

للأستاذ نجاتي صدقي

عثر سكان قرية أجليسودس في جزيرة قبرص على جثة رجل مهشمة ملقاة على الخط الحديدي الممتد بين نيقوسيا وفاما قوستا، وسرعان ما عرفه أهلوه فهو البناء يانافيس ستافرى، فحملوه إلى القرية بين الولولة وقرع الصدور، فبكته زوجته طويلا، وذرف أولاده دموعهم السخينة على جثمانه، وأقاموا الحداد في البيت، ووضعوا على دارهم اللواء الأسود وهو يحمل الأحرف الأولى من اسم الفقيد، كما هي العادة المتبعة في تلك البلاد.

ثم شيع أهل ستافرى وسكان القرية الفقيد إلى مقره الأخير وكان الناس يفدون إلى بيته بلا انقطاع مواسين معزين سائلين الله أن يجود ستافرى بشآبيب رحمته ورضوانه.

وبعد مضى أربعة أيام على هـذا الحادث ظهر ستافرى في القرية فجأة، وقد أثار ظهوره بعد موته ضجة ولغطا لا حد لها. فمن سكان القرية من ظن بأن في الأمر شعوذة، ومنهم من ظن أن ستافرى مات لكن روحه ظهرت في شخص آخر، ومنهم من أخذ يفكر جديا فيما إذا كان للشيطان إصبع في هذه القضية.

وعلى كل حال استقبل القرويون ستافرى بحذر شديد، أما هو فلم يفقه شيئا من هذه الحالة الشاذة؛ ولم يدر لماذا يرمقه الناس بنظرات التفحص والاستغراب، ولماذا رفع على بيته لواء الموت الأسود وهو يحمل الأحرف الأولى من اسمه، ولماذا استقبلته أسرته بمظاهر الترحيب والتعجب.

وبعد أن هدأت العاصفة واطمأنت النفوس زال الالتباس واتضحت الحقيقة.

كان ستافرى قد أخبر زوجته مرة بأنه مسافر في طلب الرزق وأنه سيعود إليها في مساء اليوم ذاته، فذهب إلى قرية (انكورا) وعمل فيها في بناء جناح لديرها، وقد تطلب العمل في بناء هذا الجناح أربعة أيام متتالية لم يتمكن ستافرى خلالها من إخبار زوجته من مكان عمله، أو لم يجد لزوما لإخبارها لأنه اعتاد التغيب في طلب العمل.

وحدث في اليوم الثالث من سفره أن وجد سكان قرية أجليسودس جثة مهشمة ملقاة على الخط الحديدي، وكانت الجثة شديدة الشبه بستافرى لحملها القرويون على أنها ستافرى نفسه، وأكدت زوجته بأنها جثة زوجها وقد عرفته من علامات فارقة.

وهكذا انقلب حزن القرية إلى فرح، وأزيل اللواء الأسود عن باب بيت ستافرى، وعم السرور الجميع، فصاروا يفدون إلى بيته مهنئين مرحبين بعد أن أتوه بالأمس مواسين معزين.

وظلت قصة ستافرى هذه مدار حديث القرية بل جزيرة قبرص بأسرها مدة من الزمن وتناسوها الآن أو كادوا ينسونها. أما ستافرى وأسرته فلم ينسوا الحادث وهم لا يزالون حتى يومنا هذا يعالجون ذيوله، فهم لا يدرون من هو هذا الشخص الذي يرقد في قبر أسرتهم على أنه أحد أفرادها! وهم لا يدرون لماذا لم يأت أحد يطالب جثة القتيل.

وأخيرا رفع ستافرى قضية في المحاكم على أسرة مجهولة لقتيل مجهول يطلب فيها تعويضا بسبعين جنيها هي ثمن أبنية ستافرى الجديدة التي ترقد فيها الجثة المجهولة الهوية، وهي أيضا نفقات جنازتها وما تبع ذلك من تضييفات وتوزيع مال على الفقراء.

وقد أصدرت المحكمة حكما في صالح ستافرى فسيجرى تنفيذه فور ظهور أسرة القتيل الغريب.

غير أن هذه الأسرة لم تظهر بعد!

— ٢ —

السيد ساير شخص دنيوى، يسهر الليالي ويجلس إلى المائدة الخضراء، ويعاقر بنت الحان، ويعاجن دون أن يعرف لهذه

الهاجة هذا.

وفي صباح أحد الأيام وبينا كان السيد سليم في دائرته يقوم بأعباء وظيفته أحس بدوار شديد فسقط زملاؤه وأرقدوه على الكنبة فغاب عن الوجود إلى أن جاء الطبيب. وبعد أن فحصه قال: لقد عرفت كنه مرضه. فقيل له: وما هو؟ قال: انقباض في ضربات القلب ناتج عن قلة النوم والإكثار من شرب الخمرة. فقيل له: وكيف تعالجون هذه الحالة. فأجاب الطبيب هاكم العلاج: وصفع السيد سليم بضع صفعات على وجهه؛ وإذا به يثب متذمراً؛ قائلا: أين أنا؟. وما لكم مجتمعين حولي؟ وما سبب وجود الطبيب هنا؟.

فتنحى به الطبيب جانباً؛ وحدثه بما جرى وأفهمه بأنه اضطر إلى صفعه ليعيد إليه شعوره؛ فشكره السيد سليم على حسن صنيعه هذا.

وبعد مضي شهر تقريباً على هذا الحادث التقى السيد سليم في أحد الشوارع بجماعة من الناس ملتفين حول رجل مستلق على الأرض وهو في غيبوبة تامة. وتدل ألبسة الرجل على أنه من المتسولين الفقراء؛ كما تدل هيئته على أنه من المحتاجين الجائعين.

فشق السيد سليم طريقه بين الجمع وهو يصرخ: ابعدوا عنه ابعدوا فعلاج هذا الرجل عندي! ثم تقدم من الرجل البائس ورفعه من الأرض قليلا وأسند رأسه إلى الحائط وأخذ يصفعه على وجهه بشدة. وما هي إلا ثوان حتى شهق البائس شهقة وأسلم الروح!

فنهض السيد سليم وشق طريقه بين الناس المشدوهين وصرخ فيهم قائلا: أتريدون مني أن أحيي الموتى!!

نجاتي صدقي
